

3<sup>me</sup> Année, No. 112

بدل الاشتراك عن سنة  
٦٠ في مصر والسودان  
٨٠ في الأقطار العربية  
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى  
١٢٠ في العراق بالبريد السريع  
١ ثمن العدد الواحد  
\*  
الأعلانات يخفق عليها مع الإدارة

# المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH  
Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

Lundi-26-8-1935

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها للشئول  
أحمد حسن الزيات  
\*  
لإدارة  
بشارع المبدولى رقم ٣٢  
مايدين - القاهرة  
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ١١٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ جادى الأولى سنة ١٣٥٤ - ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

## ٢ - سعد باشا زغلول

بمناسبة ذكره الثامنة



كانت رسالة  
سعد كما رأيت  
(الدفاع عن الحق)  
في زمن خذل الحق  
فانتهى فيه الحكم  
إلى الأثرة، وشعب  
جهل الحق فجرى به  
الأمر على الباطل.  
وكانت علة هذا  
الحامى للدَّره لذلك  
الدفاع البلاغة  
والمنطق والقانون:

فالبلادة للجمهور، والمنطق للخصوم، والقانون للحكومة؛ ولست  
أرى بذلك إلى تقسيم كلام الزعيم إلى التأثير الحفز، والاقناع  
المطلق، والتطبيق المجرد، فإن خطبته في كل موضع وفي أى

### فهرس العدد

صفحة

- ١٣٦١ سعد باشا زغلول ... : أحمد حسن الزيات ...  
١٣٦٢ القومية العربية ... : الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المازنى  
١٣٦٥ مصر وقت التفتح الفاضل : الأستاذ محمد عبد الله عثمان ...  
١٣٦٨ نريز ودراسة الحرافقة ... : الدكتور إبراهيم بيوى مذكور  
١٣٧٠ البدو الحسى محدث ولوى : الأستاذ عبد القادر للنربى  
١٣٧٣ استعطاف (قصيدة) : رفيق فاخورى ...  
١٣٧٣ طموح ... : الأستاذ محمود فتم ...  
١٣٧٤ وراثة البقرة ... : لكاتب فرسى ...  
١٣٧٧ وليم وودزورت ... : جريس القوس ...  
١٣٧٩ عبد الله بن الزبير ... : محمد حنى عبد الرحمن ...  
١٣٨٢ نحو القبر (قصيدة) ... : الأستاذ عبد الرحمن شكرى  
١٣٨٣ الحسن الذى لم يمت ... : الأستاذ خليل حناوى ...  
١٣٨٨ أبو المتاحية ... : الأستاذ عبد الصمد المصيدى  
١٣٩٠ الخفيات ... : الأستاذ محمد شقيق ...  
١٣٩٣ حروب طروادة (قصة) : الأستاذ مصطفى خنبة ...  
١٣٩٦ كتاب جديد عن متالين . وفاة شاعر انكليزى كبير ...  
١٣٩٧ وفاة السيد محمد رشيد رضا . ذكرى أنور من سيود  
العلولة . تصور برنطية ...  
١٣٩٨ نظريات الجفس والدم في ألمانيا . الرقص العارى ليس فنا ...  
١٣٩٩ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك : الأستاذ محمد بك كرد على

المائل بروحه ؛ ذلك لأنه يخاطب كما يكتب ويكتب كما يخاطب ،  
متوخياً في الأمرين براعة التفكير ، وبلاغة الأداء ، وجمال  
الأخيلة ، وصحة الآقيسة ، وقوة الأدلة

\*\*\*

كان سعد برد الله ثراه وخلد ذكره يحب الكلام كما يحب  
العمل ، وينشط بالجلاد كما ينشط بالجلد ، ويطرب لآهنة الذهن كما  
يطرب لقهر الخصومة ، ويقدر المنطق حتى يأخذ به من نفسه  
لعدوه ، ويقوى بالكفاح حتى يركبه المرض والوهن إذا ما استجيم  
دخلت ذات يرم بيت الأمة في وقد من قومي نجدد الثقة  
بالرئيس حين انصلع من حوله الوفد ، وأثرت به الحكومة ، وتغشَّن  
عليه الانجليز ، ودس له المراءون القدر في اللق ، ولم يبق معه إلا  
اعتداده بنفسه ، واعتقاده بحقه ، وثقة الشعب الأعزل به ؛ وكان  
في ذلك اليوم عيلاً لا يخرج إلى أحد ولا يدخل عليه أحد ،  
ولكن الوفد المسافر المشوق يأبى في إلحاح وإصرار إلا أن يرى  
رئيسه وإن لم ينزل ، ويسمعه رأيته وإن لم يتكلم ؛ فنزل الزعيم  
التبيل مدبراً بلغائف المرض يتحامل على نفسه ويتهاك على مقعده ؛  
وكان فناء الدار وشارع الدار وحجرات الدار قد انفجرت انفجار  
عرفات بالنساء والتفدية حين لاح وجهه الشاحب من العلة

قدّم وفدنا إلى الرئيس عرائض الثقة في غلاف حريري جميل ،  
ثم تعاقبت الخطب على الأسماع ما بين سمين وهزيل ، والخطيب  
للعجز جالس إلى مكتبه يصغي إلى كل خطيب ويصفق لكل  
خطبة ، حتى انتهى القوم ووقف هو يقول كلمة الشكر ، فبدأها  
بصوت خافت متهافت ، ثم مالبت أن شبا وجهه ، واستقام  
عوده ، وارتفع صوته ، وتنوع لهجته بالتبثرات المؤثرة ، وتحركت  
يده بالأشارات المبينة ، ثم تدفق تدفق السيل الماطر ساعة كاملة  
هتك فيها أستار القلول والخديعة عن سياسة الحكومة والخصوم ،  
فأسمع الناس كاليوم خطيباً ينطق عن الوعي ، وأسلوباً يتسامى  
للإعجاز ، وصوتاً يمتزج رنينه الفضي بأجزاء النفس ، وخطبة  
لا يفكر بمثلها البيانون نموذجاً كاملاً للفن !

تلك صورة جانبية لتأخية من نواحي فن الزعيم ، جلوناها  
على قدر هذه الصفحة ؛ ولطنا نمود يوماً إلى هذا الاجمال  
فنفصله ، وإلى هذا التركيب فنحله

إبراهيم الزيات

موضوع لا تخلو من هذه العناصر الثلاثة ، وإنما يظهر بعضها على  
بعض حين يقتضي للتمام ذلك الظهور ؛ فهو يوجه التأثير بالفكرة  
إلى القهر إذا هاجم الانكار والجهل ، وبالعاطفة إلى النفس إذا  
عالج الخود والنفلة ، وبالنصوص إلى الفكرة إذا عرض  
القوة والسلطة . ولم ير التاريخ للمصري بل الشرق قبل سعد  
خطيباً يليل اللسان ، ندى الصوت ، طلق البهجة ، دامع الحجة ،  
حافل الخاطر ، رائع البيان ، أنيق اللمعة ، حسن الست ، يزوج  
بين للنطق والشعر ، ويماقب بين الاقتناع والامتاع ، ويرواح  
بين الجد والمزح ، ويتصرف في فنون القول تصرف الشاعر برقة  
الأسلوب ، والفيلسوف بدقة الفكر ، والموسيق بجمال الإيقاع ؛  
وكل ذلك في حالة من الشخصية المهيمنة الجذابة ، تساعد بلاغة اللسان  
والعين واليد بشعاع إلى باهر ، ينفذ إلى النفوس المتكبرة فتتضع ،  
وإلى الأذهان المكابرة فتتضع ، وإلى القلوب البينة فتتجم

\*\*\*

كان سعد رجل جلاد وجدل ؛ تفرس منذ الحداثة بشدائد  
الحياة ومكاره العمل ، وراض نفسه منذ الدراسة على أدب  
اللسان والقلم ، وتنفس به العمر في ميادين الجهاد في الحق ،  
فتكلت عبقريته اللهوية بالمعرفة ، وتقفت بالتجربة ، وتغوت  
بالمران ، حتى كانت منه ذلك الخطيب المرتجل الذي يهضب  
بالكلام أربع ساعات متواليات لا يتكأ ، ولا يتلجلج ، ولا يتكثر  
باللفظ ، ولا يستمين بالتكرار ، ولا يطرد نشاط السامع ؛ وكأنما  
كانت الخطابة لطول مازاولها تصدر عنه كما يصدر الفعل عن  
الطبع الملازم والعادة المستحكة ؛ فالفكر عميق من غير إعانت ،  
والأسلوب رشيق من غير تكلف ، واللفظ متخير من غير قصد ،  
والمطابق متساوقة تختلف باختلاف العقول واليول والحال ، فتقع من  
قلوب سامعيها العشرين ألفاً موقع الأنداء من جفاف الأرض ؛  
هذا بالصورة الآخذة ، وذاك بالفكرة النافذة ، وذلك بالحجة  
الريثة ، وأولئك جميعاً بالبيان الملهم ، والأداء المعجب !

أكثر ما في خطب الخطباء حنجرة وإلقاء وحركة ؛ فإذا  
قرأت بعد ذلك ما سمعت تبينت فيه الكلام الزائف والرأى  
المجازف والأسلوب للشوش ؛ أما سعد فتسمعه وتقرأه فلا تجد  
بين الحاليين إلا الفرق بين الخطيب المائل بشخصه ، والكاتب

## القومية العربية

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

كثيراً ما يسألني الشبان الذين لم يشهدوا الثورة المصرية — لأنهم كانوا أطفالاً — « هل كانت حقيقة رائدة ؟ »  
فأقول : « لقد كانت غاية الروعة — في حدودها . ولم يكن في الوسع أن تكون فوق ما كانت ؛ ولكنها فشلت — مع الأسف — لأنها أخطأت قوميتها بمثل سور الصين »

ذلك أني أؤمن بما أسميه « القومية العربية » وأعتقد أن من خطئ السياسة وضلال الرأي أن تنفرد كل واحدة من الأمم العربية بسمها غير عابئة بشقيقتها ، أو ناظرة إليها ؛ ويحتمل ويستفزني أن أرى أحداً ينظر إلى مصر كأنها من أوروبا وليست من الشرق . وعندى أن الجنسية الشرقية هي أساس حياتنا وتاريخنا ، وأن هذه النظرة تفسد مزاياها الشرقية — إذا لم تفقدنا إياها — ولأنكبتنا مغربة من مزايا الغرب ؛ والعلم ينقل ، وقد نقل من الشرق إلى الغرب ، ومن اليسير أن ينقل من الغرب إلى الشرق من غير أن يحاول الشرق أن يغير جلده أو يغير خصائصه

وقد اعترض على شاب — ذات مرة — ونحن في حديث كهذا ، فقال : « وما الرأي في القومية ؟ أليست حقيقة تاريخية تفرق بين هذه الشعوب والأمم التي تريد أن تجمعها وتربطها برباط واحد ؟ »

قلت له : « إن هذه القوميات المتينة الضيقة الحدود ، حديثة من الوجهة التاريخية ، وهي — بمحدثها الحاضرة — بنت العصر الحديث ، وإذا شئت ، قتل أنها وليدة الحرب المظلمة ، وإن كان صحيحاً أنها سبقت الحرب بنصف قرن تقريباً ، بل إن فكرة الامبراطورية البريطانية نفسها ليست إلا بنت القرن العشرين . ولعل أكبر مسئول من بث هذه الفكرة هو الشاعر كبلنج . ما علينا من هذا ، ولنرجع إلى حديث الشرق : لقد كانت هناك وحدة وثقافة اسلاميتان دان لهما الشرق ،

أو ما يمتدنا منه ، وظلت هذه الوحدة قائمة على الرغم من انحطاط الثقافة ، ولم يندم أن تظل قائمة أن تورات شبت ، وحروباً استمرت ، فإن هذه أشبه بالفن الداخلي والخروب الأهلية ؛ وقد كانت العلماء والأدباء والنقهاء يرحلون من بلد إلى بلد ، ولا يحسون أنهم تركوا أوطانهم وتربوا ، ولا يشعرون أنهم اجتازوا حدوداً ، ونخطوا نحوماً ، تفصل بين أقطار ، وتنزل أمة عن أمة . ولا يزال الحال كذلك ؛ ولو جيم هذا الشرق لما شعرتم أنكم في غير مصر — إلا من حيث التقدم المادي — وكانت اللغة العربية هي اللسان الذي لا يحتاجون إلى اتخاذ غيره في حينها يكونون من هذا الشرق العظيم الذي تقسمونه اليوم أمماً وشعوباً وتقولون هذا مصرى وذلك فلسطيني أو شامي أو حجازي . وعلى أن القومية هي اللغة لا سواها . ولتكن طبيعة البلاد ما يشاء الله أن تكون ، ولتكن الأصول البعيدة الثقافة في القدم ما شامت ، فما دام أن أقواماً لهم لغة واحدة فهم شعب واحد . ذلك أن الانسان لا يستطيع أن يفكر — إلى الآن على الأقل — إلا باللفاظ . هي وحدها أداة التفكير ، فلا سبيل إليه بدونها ؛ ومن المستحيل — الآن — أن تعمل معنى مجرداً عن ألفاظ تميزه . ولكل لغة أساليب وطرائقها ، فأساليب التفكير وطريقة التصور وخاصة للأساليب التي يتألف على مقتضاها الكلام في اللغات المختلفة ؛ ومن هنا يتفق ويتشابه أبناء كل لغة ، ويختلفون من أبناء كل لغة أخرى ؛ وهذا فرق ما بين الانكليزي والفرنسي ، وما بين الانكليزي والهندي ؛ وهذه فيما أظن ، حقيقة علمية ، ومتى كان الأمر كذلك فكيف نكون إلا عرباً كالمراقيين ، والسوريين ، والفلسطينيين ، والحجازيين ، واليمنيين ، مع اختلاف يسير تحدته طبائع هذه البلاد ؟ »

فناد الشاب يسألني : « وأصلنا المصري ؟ وتأويخ الفراعنة ومدنيتهم ؟ »

قلت له : « أكرم بهنا من أصل ؛ وإنها لمدينة باهرة تلك التي كانت للفراعنة ؛ وإن العالم كله لمدين بأكثر مما يعرف لهذه الحضارة القديمة ، ولكنها بايت وأندثرت ، ولم يبق منها إلا الأثر المدفون في التراب ، والقي لا يمكن أن يؤثر في حياتنا

الحاضرة إلا من طريق واحد - هو إشمارنا العزة ، وحشنا على استحقاق هذا التراث الجليل ، كما يكون الأب كريماً فيخجل الابن أن يكون كزراً لثماً وأن يفعل ما يتلقى كرم آياه وطيب أرومتهم ؛ ولكن للدينة العربية - أو قل الإسلامية إذا شئت - لم تكن ، ولم تبد ، ولم تندثر ، ولم تفقد إلا القوة وظاهر السلطان ، وهذه تكتسب وتستفاد ؛ ولكنها فيها عدا ذلك ، بقيت حية ، وأبقى ما بقي منها لأنها بكنوزها المختلفة ، فهي - أى المدينة العربية - عامل مؤثر بوجوده - لا بذكره كالعامل الفرعوني - ومن الممكن هدم هذه الحواجز المفتلة التي يقيمها الغرب ويرفع منها سدوداً بيننا وبين اخواننا »

وكثير ممن أحدثهم هذا الحديث يقتنعون ، ولكنهم يرون أنفسهم شباناً ، ويستهلون أن يوكل إلى أسنانهم الفضة توثيق ما أوهنه تفريط الشيوخ أو ضيق إدراكهم ، ولكنى أنا أو من بقدرة الشباب على المجزات ، لأن خياله أنشط ، وجرائه أعظم وعزيمته جديدة لم تنل منها الخطوب والخييات ، وآماله فسيحة . وإذا كان الشاب لا يقدم ، فن ذاعساء يفعل ؟؟

ولو أن هذه القومية العربية لم تكن إلا وهماً لا سند له من خفائق الحياة والتاريخ ، لوجب أن نخلقها خلقاً ، فما للأهم الصغيرة أمل في حياة مأمونة ، وما خير مليون من الناس مثلاً ؟ ماذا يسعهم في دنيا تموج دولها بالخلق ، وكيف يدخل في طوقهم أن يحسموا حقيقتهم ويدودوا عن حوضهم ؟ إن أية دولة تتاح لها الفرصة تستطيع أن تثب عليهم وتاكلهم أكلاً بلعهم وعظامهم . ولكن مليون فلسطين إذا أضيف إليهم ما يوفى الشام وملايين مصر والعراق مثلاً يصبحون شيئاً له بأس يتقى . وهذه البلاد ما انفكت زراعية على الأكثر ، وجل اعتمادها على حاصلات الأرض ، والصناعة فيها ساذجة محدودة ، وضيقة النطاق ، والزراعة لا تغني الأمم كاتفنيها الصناعة ، والسال عصب الحياة وسر القوة ، وأخلق بهذه الأقطار العربية أن تظل صناعاتها ضئيلة ما بقيت هي مقسمة موزعة ، لأنه لا يوافق الدول الثرية التي لها فيها سلطان أو نفوذ أن تدع صناعاتها تنشط وتنهض ، ولا سبيل إلى نشاطها إلا إذا فتحت أسواق مصر ، لجاراتها الشرقية ، وأسواق الجارات لمصر ، ومعقول أن تشتري منا دول أوروبا

حاصلاتنا الزراعية أو ما يزيد على حاجتنا منها ، ولكن صناعتنا لا يمثل أن تجد لها أسواقاً في أوروبا ، فما بها حاجة إلى ما نصنع بالنكا ما بلغ التجويد فيه ، وإنما يتسع الميدان لصناعتنا إذا وجدت سبيلها إلى الشرق ، ومثل هذا يقال عن البلاد العربية الشرقية قد يقال ولكن هذا ليس إلا حلماً ، فنقول نعم إنه الآن حلم ، لا أكثر ، ولعله لا يتراءى إلا لأحاديث يدون على الأصابع في كل بلد ، وعسى أن تكون العقبات المترتبة والصعاب القاعة قد صرفت كثيرين عنه بعد أن دار زمننا في نفوسهم ، ولكنه ، على كونه حلماً ، ليس أعز ولا أبعد مثلاً مما نحلم به أم أخرى في هذا العصر ؛ وبالأهم حاجة إلى الأحلام ، وإلى الالتجاء على نفسها بها حتى تخلد إليها وتتماق بها ولا تعود ترى للحياة قيمة أو معنى إذا لم نسع لتحقيقها ، وإلا فلأية غاية نسي ؟؟ ماذا تطلب من الدنيا ؟ وماذا عسى أن يكون صرامها في الحياة إذا لم نحلم بأمل ؟ أليكون كل ما تبني أن نأكل هنيئاً ، ونشرب مريضاً ، وننام ملء جفوننا ؟؟ وهيهات أن يتيسر لها ذلك إذا هي أقصرت وكفت عن الأحلام والتأمل وما يفران به من السى ، وغيرنا يحلم بنا إذا كنا نحن لا نحلم بشيء ، وحقيق بنا إذا سلطنا إلى حين أن نعود فريسة لأمة من الأمم الطامعة الحاملة

والأحلام ضرورة من ضروريات الحياة ، للأفراد والجماعات ، وبغيرها يمتنع السى وتنقطع الحوافز ، وتركب الدنيا وبأسن العيش ، ومن لا حلم له ، لا أمل له ، ولا مستقبل ، فلماذا يعيش إذن ؟

إبراهيم عبد القادر المازني

ظهر حديثاً :

## في أصول الأدب

صفحات من الأدب الحى والآراء الجديدة

يقلم

أحمد حسن الزيات

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن جميع المكتبات

ونقطة ١٣ قرشاً عن أجره البريد

## مصر وقت الفتح الفاطمي

والعوامل التي مهّدت لهذا الفتح

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تمة

— ٣ —

كانت الدولة الفاطمية تضطرم بهذا الروح الوثاب ، وهذه الخلال البدوية النقية حينما اعترم المزمّلين الله فتح مصر ، وكانت هذه الروح والخلال هي دامة الدولة الجديدة ؛ نشأت في مهدها ، كما تنشأ معظم الدول الناضرة التي تجدد في قفار المغرب خير ميدان اطالها ونشاطها . وكانت هذه الأسباطية (١) الصارمة تطبع تصرفات النزاة منذ البداية ؛ وبينما كان أبو عبد الله الشيبى داعية الفاطميين وطليعة دولتهم يزحف بمصيته من البربر على بني الأغلب لينزع ملكهم ، كان زيادة الله بن الأغلب مكباً على كموه ومسراته (٢) ، ولم يك ثمة شك في مصير ملك ينشأ مثل هذا الانحلال في الروح وفي الخلال ؛ ولما تم الظفر لأبي عبد الله ودخل رقادة عاصمة الأتالية ، واحتوى على تراث بني الأغلب ، عرخت عليه جوارى ابن الأغلب وفيهم عدة فائقات الحسن ، فلم ينظر إلى واحدة منهم ، وأمر لمن بما يصلح شأنهم (٣) وأقام على ما كان عليه من تقشف بالغ وخشونة في اللأكل واللبس ، ولم تزد اقامته في القصر الأنيق على إقامة القفر الساذج (٤)

ولما اعترم المزمّل أن يحقق أمنية أسرته في افتتاح مصر ، استمد لذلك استمداداً عظيماً ، وحشد كل ما استطاع من جند وذخيرة ومال ، وعهد بتلك الحملة الراضرة إلى أعظم قواده جوهر السقلى ؛ ومع أن المزمّل كان قوى الأمل في التغلب على مصر ،

(١) نسبة إلى أسباطية من حواضر البربران القديمة ، وقد اشتهرت بنوع من القرية الحفنة الصارمة كانت تعرضه على أبنائها منذ الحداثة حتى يشبوا جنوداً أفواها يتالبون كل ضروب المعاق

(٢) انظر الحفاد ص ٣٦

(٣) د د د ص ٣٧

(٤) د د د ص ٣٨

ومع أنه كان يبرف من طلائمه وعيونه مبلغ ما انتهت إليه من التفكك والضعف عقب موت كافور ، فإنه لم يدخر علة في الرجال أو المال ، واليك رواية توضح لنا ضخامة هذه الأهبة : استدعى المزمّلون أبو جعفر حسين بن مهذب متولى بيت المال ، وهو في وسط القصر ، وقد جلس على صندوق وبين يديه ألوف سنادين مبددة ، فقال له : هذه سنادين مال ، وقد شذعتني ترتيبها ، قال الحسين ، فأخذت أجمعها حتى رتبت ، وبين يديه جماعة من خدام بيت المال والفراسين ، فلما رتبت أمر برفعها في الخزان على ترتيبها ، وأن يلقى عليها ويختم بخاتمها ، وقال : قد خرجت عن خاتمنا وسارت إليك ، فكانت جلتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار ، وكان ذلك في سنة ٣٥٧ هـ ؛ فأنفقت جميعها على الحملة التي سيرها إلى مصر (١) ؛ ويقال إن الحملة الفاطمية على مصر بلغت نيفاً ومائة ألف فارس ، غير الجند المشاة (٢) ، وهي قوة زاخرة تقتضى لكي تقطع هذا القفر الشاسع بين إفريقية ومصر بمددها وعددها جهوداً جبارة ؛ ولقد أدرك منظر تلك القوى الجرازة وأهبتها الهائلة وقت خروجها من القيروان إلى مصر في يوم من أيام ربيع الأول سنة ٣٥٨ هـ خيال الشاعر الماصر ابن هاني ، فأشدد في وصفها :

رأيت بميني فوق ما كنت أسمع وقد راعني يوم من الحشر أودع  
غداة كأن الأفق سدّ بمنزله

فماذ غروب الشمس من حيث تطلع  
فلم أدر إذ ودعت كيف أودع  
ولا أن هذا حشد من لم يذق له  
غبار الكرى جفن ولا بات بهجع  
إذا حل في أرض بناها مدائننا  
وإن سارعن أرض غدت وهي بلقع  
تحمل بيوت المال حيث عله  
وجم المطايا والرواق المرفع  
وكبرت الفرسان لله إذ بدا  
وظل السلاح للفتى يتقمقع  
وعب عباب الموكب الفخم حوله  
ورق كما رق الصباح الملع  
فان بك في مصر ظاء لورد  
فقد جاء نيل موى النيل يهرع  
ولم تمض أسابيع قلل حتى سرت الأنباء في مصر بمقدم

(١) المخطوط ج ٢ ص ١٦٤

(٢) المخطوط ج ٢ ص ٢٠٥ — ابن خلكان ج ١ ص ١٤٨



المساكر الفاطمية ؛ ولم يكن مشروع الفاطميين في فتح مصر مجهولاً ؛ وكان للمزبوع دتاة يثون دعوته خفية ، ويثرون بالفتح الفاطمي<sup>(١)</sup> . ولم يك ثمة ما تحشاه الأمة للمصرية من هذا الفتح ، خصوصاً بعد القى شهدته من عصف الجند الباسيين ، وطينان الولاة للمتربين ، وما انتهت إليه شؤونها في أواخر عهد القولة الأخشيديّة من الاضطراب والفوضى ، وما توالى عليها من محن الفلاء والولاء ؛ ولقد كان من سخرية القدر أن يتولى حكم مصر أسود خصى هو كافور ؛ وكان لهذا الحادث القذ في تاريخ مصر الاسلامية ، بلا ريب ، وقع عميق في جرح الشعور القوي ؛ وكانت القولة الفاطمية تجذب إليها الأنظار بقوتها وغناها ؛ وكان سواد الشعب المفكر يؤثر الانصواء تحت لواء دولة قوية فنية ، تستظل بلواء الامامة الاسلامية كالقولة الفاطمية ، على الاستمرار في معاناة هذه الفوضى السياسية والاجتماعية ؛ وهكذا أتى الفاطميون حين مقدمهم إلى مصر ، جواً ممدداً يشر بتحقيق الفتح للنشود على خير الوجوه

ولما ذاعت الأنباء بوصول المساكر الفاطمية إلى الأراضي المصرية ، اشتد الاضطراب في مصر ، وكثر الخلاف في الرأي ، فرأى جماعة من الزعماء والجند من أنصار بني الأخشيدي وكافور أن يحاولوا رد الغزاة بقوة السيف ، وأخذوا يتأهبون للقتال ؛ ولكن معظم الزعماء للمصريين آثروا مهادنة الفاتحيين والتفاهم معهم ، وقر رأيهم على أن يتقدموا إلى جوهر بطلب الأمان والصلح ، وانفقوا مع الوزير جعفر بن القرات على أن يتولى تلك المهمة ؛ وسألوا أبا جعفر مسلم بن عبد الله الحسيني أن يكون سفيرهم فأجابهم إلى ذلك ؛ وسار على رأس جماعة من وجوه مصر إلى لقاء جوهر ، فلقبه على مقربة من الاسكندرية ، في قرية تعرف بأروجه ؛ (أواخر رجب سنة ٣٥٨) فاغتنب جوهر بمقدمهم وأجابهم إلى ما طلبوا ؛ وكشبه لهم أماناً بعتبر وثيقة هامة في الكشف عن غايات السياسة الفاطمية وأصولها المذهبية ؛ وفيه بنوه بمزايا الحماية الفاطمية على مصر « بسد أن تخطفها الأيدي واستغلال عليها المتفل ؛ المعنة نفسه بالاقتدار عليها ، وأسر من فيها ،

والاحتواء على نعمها وأموالها ، حسباً فعله في غيرها من بلدان الشرق » وان أمير المؤمنين بادر بتسيير الجيوش المظفرة لمجاهدته وحماية المسلمين ببلدان الشرق مما شملهم من القتل واكتفهم من المصائب والزوايا ، ثم يشير جوهر إلى ما تطرق إلى شؤون الحكم من فساد وإلى ما يعانيه الشعب من مظالم ومتاعب ، وإلى ما يزعجه أمير المؤمنين من إقامة العدل وتأييد الشريعة وإصلاح المرافق والشؤون ، ويختتم ببيان بعض الأحكام الشرعية الفاطمية وتوكيد الطاعة لأمير المؤمنين<sup>(٢)</sup>

وفي هذا الأمان الذي أصدره جوهر لأهل مصر إشارة ظاهرة إلى خطر القرامطة الذين كانوا قد اجتادوا الشام يومئذ ، وأخذوا يهددون مصر ؛ وقد كان الخطر حقيقياً لا ريب فيه ، ولو لم يبادر الفاطميون إلى احتلال مصر ، لسقطت قبل بميد فريسة هينة في يد أولئك الغزاة السفاكين ؛ بل لم يحض على وجود الفاطميين بمصر زهاء عامين حتى اضطروا إلى لقاء القرامطة في أرض مصر ذاتها ولم يردوهم عنها إلا بعد جهد جهيد

على أن جوهر اضطر مع ذلك إلى خوض بعض المارك قبل أن يتفتح مصر . ذلك أن فلول الأخشيديّة والكافورية ومن والام من الجند لم يقبلوا الأمان وآثروا أن يقوموا بمحاولة أخيرة للفتح عن سلطانهم القاهب ؛ فاختراروا لهم أميراً ، واحتشدوا لقتال جوهر بالجيزة ؛ ولما وصل الجيش الفاطمي إلى الجيزة أتى القوى الخشيمة تنهياً لرده عن عبور النيل ، فدفع جوهر بعض قواته فاجتازت النيل خوفاً ، ونشب القتال بين الفريقين ، فانهمزم الأخشيديّة بعد أن قتل منهم عدد كبير ، ولاذوا بالفرار وتم الفتح الفاطمي لمصر (منتصف شعبان سنة ٣٥٨)

واستجاب جوهر إلى رغبة المصرييّن كره أخرى ، فجدد لهم الأمان ؛ وذهب الوزير ابن القرات ، والشريف أبو جعفر إلى لقائه على رأس العلماء والكبراء ؛ وسار جوهر في ركبه المظفر إلى عاصمة مصر في عصر يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ (٧ يولييه سنة ٩٦٠ م) وعليه نوب ديباج مثقل ، وتحته فرس أسفر<sup>(٣)</sup> ؛ وشق مدينة مصر (القسطاط) ونزل في الكنان

(١) راجع هذه الوثيقة بتصرف في انطاخ الحناء — من ٦٧ — ٧٠

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ١٤٩

(٣) انطاخ الحناء من ٦٦

الحق غدا قيا بمد مدينة القاهرة ، واختط العاصمة الجديدة في نفس الليلة لإنشائها بقيام الدولة الجديدة ، وبث البشرى إلى مولاة المزمز بالفتح العظيم ، فوصلته في منتصف رمضان ، وأنشد ابن هاني<sup>(١)</sup> بهذه الناصبة قصيدة مغلما :

يقول بنو العباس قد فتحت مصر

فقل لبني العباس قد قضى الأمر  
وقد جاوز الاسكندرية جوهر تصاحبه البشرى ويقدمه النصر

— ٢ —

وقامت القاهرة عاصمة الدولة الجديدة بسرعة ، وأعدت بقصورها ومسجدها الجامع ( الجامع الأزهر ) لتكون منزلاً ملكياً لبني عبيد وعاصمة للخلافة الفاطمية ، وبدأ الحكم الفاطمي بمصر على يد ميمون الخليفة الفاطمي وقائد جوهر ، وكان خطر القرامطة الذي أشار إليه جوهر في رسالته لأهل مصر يشتد ويتفاقم ، ويهدد مصر بالويل والدمار ، وملك الفاطميين بالفناء الماحل . وقد زحف القرامطة على مصر بالفعل في أوائل سنة ٣٦١ هـ بقيادة زعيمهم الحسن الأعصم ، ونشبت بينهم وبين الجيوش الفاطمية بقيادة جوهر ، معارك هائلة في ظاهر الخندق ( على مقربة من القاهرة ) انتهت بهزيمتهم وارتدادهم نحو الشام . ولما رأى المزمز أن ملكه الجديد قد توطد بمصر ، سار من أفريقيا إلى مصر بأهله وأمواله في ركب هائل تفيض الرواية الماصرة في وصف ضخامته وروعته<sup>(٢)</sup> ، فوصل إلى الاسكندرية من طريق برقة ، في ٢٤ شعبان سنة ٣٦٢ هـ ، وهرج وفد من أكابر المصريين لقاؤه وتحيته عند المنارة ، فقال لهم : إنه لم يسر إلى مصر لزيادة في الملك أو المال ، وإنما سار رغبة في الجهاد ونصرة المسلمين وإقامة الحق والسنة<sup>(٣)</sup> . ودخل المزمز القاهرة ، عاصمتها الجديدة في أوائل رمضان ، ولما وصل إلى قصره خر ساجداً في مجلسه شكر الله ، ثم سلى ركعتين ، وصلى بصلاته كل من دخل<sup>(٤)</sup> ، وسطعت في الحال آيات من عظمة الملك الجديد

وبذا استقرت الخلافة الفاطمية في مصر ، وبدأت زعامتها الدينية في الشرق ؛ وكانت الامامة الدينية أخص الصفات التي تبدو بها الخلافة الجديدة ، وكان المزمز قد أمر بحرص جد الحرص على سفة الامامة ورسومها ؛ بيد أن الفاطميين قدموا إلى مصر يحيط بشيئهم وامامتهم نفس الريب الذي أحاط بهما منذ قيام دولتهم في المغرب ؛ وقد أثبتت هذه المسألة عند مقدم المزمز إذ اجتمع به جماعة من الأشراف العلويين الذين ينتمون إلى علي وفاطمة ، فأله الشريف عبد الله بن طباطبا عن نسيه ، فأجاب المزمز أنه سيعقد مجلساً ويثرو عليهم نسيه . ثم عقد المزمز مجلسه بالقصر ودعا إليه الكبراء ، وسل نصف سيفه من غمده وقال لهم هذا نسي ؛ وثر عليهم ذهباً كثيراً ، وقال هذا حسي ؛ فقالوا جميعاً سمعنا وأطعنا<sup>(٥)</sup> ، وفي ذلك ما يدل على اعتداد الدولة الجديدة بقوتها وجاها ، قبل اعتمادها على امامتها وهيبة انتسابها لآل البيت ، وإن كانت قد اتخذت الامامة شعارها لدى الكافة منذ الساعة الأولى ، وأقامت ملكها السياسي على أسس دعوتها الدينية

وكان عهد المزمز عصر عهد توطيد ودفاع عن الملك الفتي . وكان خطر القرامطة لا يزال قائماً في الأفق يندد دولة الفاطميين الجديدة بالهو والفناء . ولم يحض ببعد حتى غزا القرامطة دمشق وانزعروها من يد حاكمها الفاطمي . ثم زحفوا على مصر بقيادة الحسن الأعصم كره أخرى ، فلفيتهم جيوش المزمز على مقربة من بلبس في أواخر سنة ٣٦٣ هـ وأوقمت بهم هزيمة قاذحة . بيد أنها لم تكن خاتمة النضال ؛ فقد لبث المزمز حتى وقته في معارك مستمرة في الشام مع القرامطة والروم ؛ بيد أنه أتيح له قبيل وقته أن يشهد ظفرو ؛ ولم يناد هذه الحياة ، ( في ربيع الثاني سنة ٣٦٥ ) حتى كانت الخلافة الفاطمية تبسط سلطانها وامامتها على المغرب ومصر والشام والحرمين

محمد عبد الله هاشم

( تم البحث )

( النقل من ع )

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٣٢٦ — انجوم الزاهرة ج ٤ ص ٧٧

(١) راجع ابن خلكان ج ٢ ص ١٣٤

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ١٣٤ واتحاط الحناء ص ٨٨

(٣) اتحاط الحناء ص ٩٠

### ٣ - فريزر ودراسة الخرافة

#### النواج<sup>(١)</sup>

للدكتور ابراهيم يومي مذكور

قد لا تكون الخرافة استولت على أية ظاهرة اجتماعية استيلاءها على الزواج وشؤونه ؛ ففرت قدره ، ودعت الناس إليه ، وحددت قيوده ، ونظمت ما يحيط به من طقوس ورسوم ؛ فلا يكاد المرء يفكر في أن يتزوج حتى تتسرب الخرافة مسرعة إلى تفكيره هذا ، محاولة أن تبين له الزوجة التي تليق به ، واحتة عما إذا كان نجما يتفق مع نجمة ، وطالما يتلاءم مع طالعها . وكثيراً ما أحيطت حفلات المقد والزفاف برق وتماويز أملتها الخرافة وأحكمت وضعها . وبين ظهرائنا من هذه الخرافات الشيء الكثير ؛ « قالتبيته » ، وحساب الطالع ، وقراءة الكف ، « وضرب الرمل » ، ترمي غالباً إلى اختيار الزوجة الصالحة والشريكة الملائمة في الحياة الأسرية ؛ وإذا ما قرأ رأى الشاب والشابة على الزواج أسبغت عليهما الأحراز والتمائم التي تقيهما الساحر وضره والحاسد وشده . فتارة يكتب لها بالألثة والمودة ، وأخرى يحصنان مما يقع بينهما الشحنة والبغضة . ولم تنصف الخرافة عن التدخل في العلاقات الجنسية بين المرء وزوجه فتبهرها وتنشطها ، أو تقف في طريقها وتقضي عليها . وكلنا يعرف خرافة « الحل والربط » السائدة في قرانا ، والتي كانت ولا تزال مصدر رزق لجماعة السحرة والنجالين ، وباب شر دائم وألم مستمر للزوجين ومن يتصل بهما من أهل وأصدقاء . طغت الخرافة كذلك على الأسرة المكونة فسولت لبعض الناس أنها قادرة على أن ترد الماتر ولوداً ، وتسلب أم الأولاد نسلها وتقضي عليها بالحرمان والمقم

لم يعن فريزر في كتابه « محاي الشيطان » بدراسة هذه

(١) تأسف جد الأسف لأن ظروفنا القاهرة قضت علينا بقطع هذه السلسلة بضعة أسابيع . ولا يفوتنا أن نشكر الأستاذ محمد رومي فيصل على كفته الريقة ( الرسالة : عدد ١٠٨ ، ص ١٢١٢ )

الخرافات المتعددة ؛ وإنما تفرغ لأيضاح نقطة واحدة هي موضوع كلمة اليوم . وتتلخص في أن الخرافة غرست في القلوب حب الحياة الزوجية وتقديسها ، وحملت الناس على احترام القواعد الخلقية والقوانين الجمعية الخاصة بالعلاقات الجنسية بين العزب والزوجين . ذلك أنها أمارت على الزنا والفسق حرباً شعواء وصورتها في أقبح صورة ممكنة ، فأبعدت الناس عنهما بقدر ما قربتهم من الحياة الأسرية المنظمة . فالزنا واللواط وكل اختلاط جنسي غير مشروع كانت ولا تزال لدى كثير من القبائل الممجية من أخس الخطايا الخلقية التي لا يقع إثمها على مرتكبها وذوهم فحسب ، بل يتسدام إلى الطيعة فيقلب نظامها ، وإلى الآلهة فيثير سخطها وغضبها . وربما أدت قطة من هذه الفعال السيئة إلى هلاك الحرث والنسل ، وموت الزرع ، ويسبب الضرر ، وسقوط المطر ، والرعد والبرق ، ونزول الصواعق التي لا تبقى ولا تذر . لذلك أضحى الزنا وتوابعه جرعة شعبية تهدد المجتمع بأسره وتمدو عليه في أهم عناصر حياته من غذاء وماء وأمن وفاقية

يزعم سكان برمانيا من أعمال الهند الصينية أن الزنا ذو أثر سيء على الحاصلات المختلفة . فإذا ساء المحصول في قرية من القرى أو انقطع عنها المطر عاماً أو جاء من متتالين اعتقد الناس أن ذلك راجع إلى ارتكاب الفحشاء التي أغضبت الآلهة . وإذا وقف البرمانيون على حادثة من حوادث الزنا أزموا الجنة بشراء خنزير صغير يكون في سكب دمه ما يفضل خطيتهم الشقاء ؛ وقد جرت عادة التقرب أن يتهل إلى الله حين يقدم قربانه قائلاً : « إله الأرض والسماء والجبال والمضاب ، قد أجديت الأرض من أجلى ، فلا تنزل علي جام غضبك ونذير سخطك ، وأرأف بي وارحمي . هاأنذا أسلح الجبال وأسوى المضاب وأسفر الأرض وأشق الأنهار ، فالهم رد إلينا الحاصل المفقود ، ولا تضيع علينا أي مجهود ، وأخصب أرضنا ، ونم زرعنا »<sup>(١)</sup>

ويستند كذلك كثير من برايرة أفريقية الغربية أن الآلهة تعاقب بالجوع والخوف والقحط والجذب كل جماعة انتهك فيها عراض إذ اعتدى على محرم . ويروي أنه سنة ١٨٩٨م انقطع المطر

(١) Mason, Journal of the Asiatic Society of Bengol, 1868) & XXXVII, 2= partie, p. 147 sq.



في ييدر يؤذى ثمره وينقص غلته ويذهب ببركته  
أما أخطار الزنا المباشرة وأثره السيئ في مرتكبيه أنفسهم ،  
فيكاد يسلم بها في مختلف الجماعات الانسانية . وكثيراً ما علل  
فقر الرجل وفشله في صناعته أو زراعته بفجوره وفسقه . وإذا  
أصاب المرء أمر أو حل به حادث ، ظن الناس أن في هذا  
انتقاماً منه لجرم اقترعه أو عرض انتهكه . والأمثلة في هذا الباب  
كثيرة . سواء لدى القبائل المحمية أم في الأمم التمدنية ؛  
وستكتفى بعرض بعضها . فبدو روديسيا يلعنون كل امرأة  
تموت أثناء وضعها ، ويتهمونها بالفجور والفسق وقتل روح  
بريئة لانتم لها . وتزعم طائفة من سكان أفريقية الشرقية أن  
الطفل الذي يمدو على زوج أبيه يصاب بعاة دائمة . وتقول  
طائفة أخرى إن المرأة تموت إن أتى زوجها الناحشة أثناء حملها ؛  
وإذا لمس أب ابنه الصغير صبيحة أو نكاهه التكر مرض ولده  
على الأثر . وحدث مرة أن مات ثلاثة أخوة في فترة قصيرة ،  
فاتهمت أمهم بالزنا مع رحم محرم . ويصدق كثير من القبائل  
المحمية أن خيانة الزوجة سبب محقق لفشل الزوج في صيده  
ورحلانه وحروبه ؛ وربما أدى ذلك إلى موته . لهذا اعتاد كثير  
من الهنود ، إن خرجوا إلى الحرب ، أن يجمعوا نساءهم في صيد  
واخذ كي ترقب إحداهن الأخرى

فواضح إذن أن الزنا وما اتصل به ، في نظر كثير من الشعوب  
البائدة والحاضرة ، خطر يهدد الفرد والأسرة والجماعة ؛ فليس  
شره مقصوراً على مرتكبيه وحدهم ، بل يمتد إلى القبيلة جميعها  
والشعب بأسره ؛ هو جناية عامة وجريمة شعبية تصيب الأمة  
في أموالها وأرواحها . لذلك قسا الناس في محاربهه وأزولوا بالزنا  
أشد المذاب . وإذا صح أن نقيس الجريمة بما قدر لها من  
قصاص ، استطعنا أن نقول إن الزنا من أشنع الجرائم التي عرفها  
الإنسان ، إن لم يكن أشنعها . وهذه القسوة الزائدة في مطاردة  
الزنا والزنا سهلة التليل ؛ فإن المسألة مسألة حياة وموت ، مسألة  
دفاع عن مجتمع مهدد في أعز شيء لديه ، فهو مدفوع بطبيعته إلى  
أن يحارب من يحاول الاعتداء عليه

ومن هنا كانت العقوبات الصارمة التي أزلتها الأمم والشرائع  
المختلفة بكل من استباح عرضاً أو نجس على عفاف امرأة . قوانين

عن هذه الجهات زمناً طويلاً ، نجفت القدرة ، واحتترقت أوراق  
البياطن والتباكت الأخرى . فهرع الأهولون إلى تسهم  
برجونهم أن يستكشفوا سر هذا السخط العظيم . وبعد تضرع  
طويل وإتهال خالصين هؤلاء القس أن آلهة السماء غاضبة على  
سكان الأرض لسوء سلوكهم . فجمع كل رئيس أتباعه ، وأرسل  
فيهم الميون والأرصاد للبحث عن أصل هذه الجناية الكبرى . وقد  
أدى البحث الدقيق إلى إثبات أن ثلاث قنيات أبجن أعراضهن  
وأكلن بآلهتهن ؛ وما إن همت القبائل بمقابتهن حتى نزل المطر  
مداراً<sup>(١)</sup> . وزعم كثير من متوحشي سومطرة أن الزنا عجلة  
للطاعون والأمراض المهلكة واعتداء الحيوانات المفترسة أمثال  
النمر والتمساح . وعلى الجملة فمنظم القبائل المحمية الباقية إلى  
اليوم يعتقد أن كل اعتداء على العرض أو مخالفة لقوانين الزواج  
مصدر عقوبات ماثوية كثيرة أخصها انقطاع الطر وجفاف  
الأرض ونقص الزرع

وليس هذه المعتقدات بمقصودة على القبائل المتوحشة ،  
بل إن لها أثراً لدى بعض الشعوب التمدنية . فالأعريق مثلاً يؤمنون  
ببعضها ويفسحون للخرافة الجاهل في المعتقدات الجنسية كما أفسحوا  
لها في شؤونهم الاجتماعية الأخرى . يروى سوفوكل أن بلاد  
تيران أصيبت بالجذب والطاعون تحت حكم أوديب الملك الذي  
قتل هفوا أباه وتزوج أمه . فأصبحت القرى والحقول قفراء ،  
وأضحى كثير من المدن خراباً ياباً . وأعلن وحى (دلف)  
أن لا سبيل لرفع هذه الطامة ورد الحياة إلى هذه الأرض الموات  
إلا بطرد الجرم<sup>(٢)</sup> . وفي شرائع بني إسرائيل ما يؤخذ بأن ارتكاب  
الفحشاء يغير نظام الطبيعة ، ويبدل سنة الله في خلقه . يقول  
أيوب : « الزنا جريمة شقاء ، وخطيئة تستوجب قصاصاً  
لا مفر منه وناراً تأكل اللحم والعظم وتقضي على الحاصلات  
كلها »<sup>(٣)</sup> . وفي القرن الثالث الميلادي لم تؤث الحقوق الأرلندية  
أكلها ، فيما يزعمون ، لأن أحد الملوك تزوج بأخته<sup>(٤)</sup> . وما لنا  
نذهب بعيداً وكثير منا يعتقد أن مرور الزاني بحقل أو وقوفه

(١) Dapper, Description de l'Afrique, p — 326

(٢) Sophocle, Aedipe—Roi, 22 sq. 95 sq.

(٣) Job, xxxi, 11 sq.

(٤) Keating, History of Ireland, pp. 337 sq

# البدر الحسنى

محدث ومتميز أيضاً

للأستاذ عبد القادر المغربي

عضو مجمع اللغة العربية بالكويت

وهي الكلمة التي ألقاها الأستاذ القادر رئيس المجمع العلمي في الحلقة الكبرى التي أقيمت على ذكر المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسنى والد خامسة الشيخ تاج الدين رئيس الوزارة السورية ، وذلك في يوم الثلاثاء ١٣ من أغسطس سنة ١٩٣٥ ، وقد أقيمت الحلقة في مدرج الجامعة السورية

شيخنا البدر ، أشبه ما يكون بالبحر : فهو من أي النواحي أنبته وجدت علماً وفضلاً ، ووجدت ورعاً وتقوى ، ووجدت من جميل خصاله ومستحب أخباره مجالاً للقول ، وموضاً للمظة ، وموضوعاً للبحث

لكنني لضيق الوقت سأقتصر من ترجمة حياته على وصف (١) طريقته في الدروس التي أخذناها عنه ، نعرفون منها أنه كان زحماً لله نسخة طبق الأصل عن رجال سلفنا الصالح في ورعهم وتقواهم ووقوفهم عند حدود الشريعة

(١) تمثيل وصف هذه الدروس وسيرة الشيخ بدر الدين في السنين الأخيرة من مجلة المجمع العلمي

نرى بمد الذي تقدم أن الخرافة صوّرت الزنا والفسق بصورة شماء لدى كثير من الشعوب قديماً وحديثاً ، وأبرزتهما في مظهر عاملين خطرين من عوامل القضاء على الفرد والأسرة والجماعة ، وبنا استطاعت إلى حد كبير عمارتهما والقضاء عليهما . وإذا كانت الجمية تنظر بعين السخط والمقت إلى كل اختلاط جنسي غير مشروع ، فإنها تدفع الأفراد تبعاً إلى احترام الزواج والخضوع لقيوده . وكل رأى أو عقيدة أو تشريع يحارب الأباحية هو في الوقت نفسه سلاح قوى لتثبيت دعائم الحياة الأسرية

إبراهيم يرمى مدرّس  
دكتور في الآداب والفلسفة

(له بقية)

(ماني) تقضى بأن ترسل على الزانية كلاب تنهشها جهرة تحت سمع الجمهور وبصره ، وعلى الزاني بأن يوضع فوق حديدة نخمة يقلى بها قلياً (١) . وتعاقب قوانين حامورابي الزناة بالشنق والاعتراق (٢) ؛ وقد كان بنو اسرائيل يحكمون على الزاني غير المحصن بالرجم ، وعلى المحصن بالقتل (٣) . ولا تزال بعض القبائل الهمجية تطبق هذه العقوبات على الزناة في غير ماشقة . ففي افريقية الوسطى يجلد الزاني وتهاجم حقوله ومنازله ويسلب ماله . وإذا تبيّن أحد الأحياس أن أخته أو ابنته ارتكبت الفاحشة قتلها جهرة وقتل عشيقها معها . ولدى الموثيشوت قانون مشهور يحكم على الزناة بالقتل ضرباً بمصا غليظة . وقد اعتاد سكان الهند الشرقية أن يرموا الزناة في عرض النهر بعد أن ينقلوهم بالحجارة ، فإذا استطاع أحدهم النجاة عن غرقه ، وفي سومطرة يؤاد الزاني ويقبر حياً

وهناك نوع خاص من الفحشاء اشتد هولُه فقتست الجمية في محاربتها ، وهو ما كان بين أفراد الأسرة القريين كالرجل وزوجة ابنه ، والراة وأب زوجها . ولكي يُدْرَأَ خطر هذا التكر وضمت في سبيله عقوبات كثيرة تحول دون وقوعه ؛ وهذا هو السر في أن القبائل الهمجية تباعد بين الأقارب الأقربين ، في حين أنها لا تجد غضاضة في أن يختلط الأجانب ببعضهم بعض ، فجاءة البنتن في افريقية الوسطى لا يسمحون مطلقاً للرجل بأن يتناول طعام العشاء مع حماته ، ولا للمرأة بأن تتعشى مع حميها منفردتين ، ومن الجرم أن يرى رجل حماته تأكل ؛ وعليه أن يكفر عن هذا يختلف القرايين ، وليس له أن ينعم النظر فيما ، وإذا خاطبها وجب عليه أن يغطي رأسه ويخض من طرفه ، وإن صادفها على غرة أفسح لها الطريق ، وسارع إلى الغابة مختفياً كي لا تراه ولا يراها علماً . وأغرب من هذا أن أهل سومطرة لا يبيحون للرجل أن يأكل مع صهره عاري الوجه ؛ وإذا رأى صهره فنهذه مضطجاً أحس بنجس عظيم ، وتوارى في الغابات المجاورة ، فهذه العادات والتقاليد الغريبة يفسرها شيء واحد ، وهو أن هذه القبائل تحول دون أي اختلاط يكون وراءه مصيبة الأقارب الأقربين

(١) Laws of Manu, VIII, 371 sq.

(٢) Code of Hammurabi, parag. 129, 157.

(٣) Deutéronome, XXII, 22.

يتفق أن يكون هو في بلد وهي في بلد آخر فيحمل إليه البريد صورته ، كما حمل جيريل صورة السيدة عائشة

كان يجري هذا الحوار في الدرس وشيخنا ساكت وأردناه على أن يفيدنا ما عنده في هذا الموضوع فلم يقل ، وظل ساكتاً . واستدرجته مرة إلى موضوع عصري طريف فأقنى به أو كاد . ثم عاد إلى الاعتصام بالسكوت :

ذلك أنه مرّ معنا في حديث مسلم قوله : (لم أصلي فأنيم) ، فقرأتها (لم أصلي فأنيم) واستشكلت رفع (أصلي) ، فقال

الشيخ (لم) للاستفهام لا للجزم ، وأصلي مستأنف مرفوع فاعتصمت هذه الفرصة وقلت له : إنهم اليوم اصطاحوا على

علامات يرفونها بين الجمل ، ويسمونهم علامات التنقيط : وهي نقطة ، وتقطتان ، وواو صغيرة كالضمة ، وخط صغير أفقي ، وخط آخر عمودي ، وغير ذلك مما يستعملونه في مقامات التعجب والاستفهام والوقف

فقول الحديث (لم أصلي فأنيم) ؛ لو وضعت علامة الاستفهام بعد (لم) لتُرئت استفهاماً من أول الأمر

فهل يجوز لنا استعمال هذه العلامات المستحدثة في كتاباتنا كما استعمل السلف الصالح ما أحدثوه من النقط والتشكيل ؟

قال الشيخ : يجوز ، قلت ونستعملها في كتب الحديث ؟ قال يجوز ، قلت وفي القرآن . قال يجوز

ثم سألتني قائلاً : ولكن لماذا لم تُرغم هذه العلامات في كتاب مسلم الطبع الذي قرأته ؟ قلت لأنه كتاب ديني .

وطابوه يخشون إنكار بعض العلماء عليهم فلا يبيع الكتاب ، فلم يضعوا هذه العلامات ، واجتهدت أن لا أجمعها به بأحمتها

الأفريقية مثل (Point) (Virgule) فلحظ الشيخ أن في الأمر سرّاً ، فتبسم وضرب على كتفي وقال : « الله يُسلحك » ولم

يُرد أن يُفتي بشيء جديد قد يمكن أن تكون فيه شائبة بدعة إلى هذا الحد كان شيخنا رضي الله عنه يحرم على سلامة

الدين ويحذر أن يتسرب إليه شيء من البدع ومن ذلك أيضاً أنه مرّ معنا في الحديث نهى النبي صلى الله

عليه وسلم عن تشييد المساجد ، ونسب ابن عباس التشييد بالزخرفة ، فقال بعض الأخوان : المراد بالتشييد رفع بناء المساجد .

فقلت بل الصحيح ما قاله ابن عباس من أن التشييد هو الزخرفة

في شهر ذي الحجة سنة ألف وثلاثمائة وأربع وثلاثين بدأت بقراءة صحيح مسلم على شيخنا رحمه الله في دار الحديث

الأشرفية ، وشاركني في هذه الدراسة قليل من الإخوان ، حتى إذا أتممت صحيح مسلم وشرعته في سنن الترمذي ازدحم

علماء دمشق وفضلاؤها على غرفة الدرس ؛ وكنتُ عند ضبط الأحاديث والتعليق عليها ، ألتقط من فم شيخنا بالناسبة فوائد

تتعلق بعلم الحديث ، من ذلك قوله :

— كل حديث فيه لفظ (الخيراء) مثل حديث (خذوا ثلثي دينكم عن هذه الخيراء) يسنون عائشة رضي الله عنها - فهو

دليل على ضعفه

— حديث (توسلوا بجاهي الخ) : قال شيخنا اشهر على

الأسنة وهو غير صحيح

— حديث : إن جيريل كان يدس الطين في قهر فرعون كي لا يفتن بالشهادتين استبدته أنا ، وأقرني الشيخ قائلاً :

(الله أعلم بصحة هذا الحديث)

— وسمعتُ مرة يروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (المهو وألبوا قاني أكره أن أرى في دينكم غلظة) وبديهي

أن المراد باللهو واللعب اللباطن شرعاً

وبمناسبة حديث الأمة التي سأها النبي صلى الله عليه وسلم : أين ربك يا جارية ؟ فأشارت إلى السماء - قال الشيخ : (مر عيسى

عليه السلام رجل يصلي وصنفته عمل البراذع وهو يقول في سجوده : (دُلّني يا رب على سمارك لأصنع له برذعة من ذهب)

فاعترضه عيسى . فأوحى الله إليه : (دعه فإنه يجتدي بحسب عقله) وكنا أحياناً نلج في الحديث بصيصاً من منقّى يتعلق

بأحوالنا الاجتماعية ، فتريد شيخنا على التوسع في شرح الحديث ، فيأتي تورعاً وخشية أن تقع في باطل من القول :

جاء في حديث عائشة أن جيريل أراه صلى الله عليه وسلم صورته في قطعة من جيب الحرير . فتساءلنا في الدرس عما إذا

كان هذا الحديث يدل على جواز التصوير ؟ أو على جواز أن يرى الرجل من يودّ خطبتها من النساء : فيكون التصوير حاجة من حاجات الاجتماع

فقال أحد الإخوان : ملأنا لرجل الحق أن يرى خطيبته نفسها فليس ثم حاجة إلى رؤية صورتها . فرد عليه آخر بأنه قد

من التمر والسمن والأقط الذي هو ضرب من الجبن فكيف يقول الشاعر (لم يختلط) . ثم قلت لشيخ لعل صحة الرواية في البيت هكذا : (لكن شرطه أن يختلط) . ثم راجعت كُتُبُ اللغة فوجدت رواية البيت كما قال شيخنا رحمه الله ورأيت علماء اللغة استشكلوا البيت كما استشكلته أنا . وأجلب بمضمونهم على هذا الاشكال بجواب لم يُعجبني

ومن عادة شيخنا رحمه الله أنه إذا طُلب منه أحد إجازة بالعلوم تمنع وتغفل بقول القائل (ولست بأهل أن أجاز فكيف أن

أجيز ولكن الحقائق قد تخفى) وأقول من مذكرات شاعرنا ( خليل بك مزهدم ) - وكان رفيق في درس صحيح مسلم - هذا الخبر الذي يملقني ، وقد أنسيت أنه أنا وهو : أنني قرأت يوماً على الشيخ عدة أحاديث يدل ظاهرها على عدم إيمان أبي طالب . فأطبقت الكتاب بين يدي وسألت شيخنا من حقيقة ذلك وأبيت إلا كلمة سريعة منه بطعن إليها القلب في إيمان عم النبي صلى الله عليه وسلم . فامتعض الشيخ من إلهام ، وقال سبحان الله يا شيخ عبد القادر أنت كاتب وأديب ، أما سمعت ما قاله (أبو طالب) غاطباً النبي صلى الله عليه وسلم ودهوتني وزعمت أنك فاسح . ولقد صدقت وكنت ثم أميناً فأنت تسمع أبو طالب يقول لابن أخيه (ولقد صدقت) ثم تستشكل ؟

فكررت يعلم الله بجواب شيخنا كما سرتني استظهاره للشمع القديم واستحضاره له حين الحاجة إليه ولا تحب أن يكون شيخنا لغوياً ، فانه لا يكاد يوجد حديث إلا وهو لغوي ، ولا لغوي إلا وهو حديث ؛ لأن الحديث لا يمكنه أن يفهم معاني أحاديث الرسول إلا بفهم معنى كلماتها اللغوية ، واللغوي لا ترسخ قدمه في اللغة ما لم يستظهر الجمل الكثير من أحاديث الرسول ، تكون له عُدَّة في الاستشهاد بها حين الحاجة فاللغوي المتقن الحديث ، والحديث المتقن للغوي

وشيخنا الذي يحفظ على أقل تقدير خبة آلاف حديث

وهو مشتق من ( الشيد ) الذي معناه الجص ، والجص عادة ترخرف به الأبنية . أما رفع بناء الساجد فأمر مستحب في عمارتها ، وذلك لكي يتخللها الهواء ويسهل التنفس على المصلين ، فالتفت إلى الشيخ وقال مبتعاً : وما دخل الهواء والتنفس في الدين والتشريع ؟ وجب من قولي أشد العجب

\*\*\*

أما أن الشيخ كان متوسماً في اللغة العربية ؛ فهذا يلحظه منه كل من أطال مجالسته ، وراجعه القول في تفسير غريب الحديث ؛ ولكنه رحمه الله ما كان يكثر من الاستشهاد بمصوص الأدباء ، ولا بأقوال الشعراء ، لما يقع فيها أحياناً من الغلو وعيب القول

وقد سمعته مرة ينشد بنفحة حزينة :

(أيا نجد لو كان النوى منك مرة

صبرنا ولكن النوى منك دائم)

وأنشدني مرة أخرى :

صديق الضيق في الدنيا قليل

فمن لك إن ظفرت به فمن لك

لحاجته يودك كل شخص وذلك إذا قضاه منك ملك صديقك من إذا ما كنت منه

طلبت الروح بالتخليك ملك

وجاء يوماً ذكر طرابلس الشام ولجونا فساكني : سامني

قولهم في القل (من لم يجيء بشراب الليمون يجيء بشوكه

وحطبه) فتجاهلت الجواب لأسمع من له ولو مرة تفسير

النصوص الأدبية - كما سمعت منه مراراً تفسير النصوص الدينية

فسره لي قائلاً :

المراد بشوكه وحطبه قضبانه وعيدانه . والمعنى من لم

يجيء باللين واللفظ ، يجيء بالشدّة والسيف

وأنشدني يوماً قول الراجز :

(التمر والسمن جميعاً والأقط

الحينس إلا أنه لم يختلط)

فاعترضت بأن الحينس هو حلوى للمرب تكون مختلطة

## استعطاف بقلم رفيق فاخوري

هواك عن هذا الوجود شاغلي والوجد منذ غبت عني واصل  
إبست مَوَاتَ خاطري بضرورة واخطُ خطا الظلال في الخائل  
واحمل إلى قلبي الكلم باسمًا وشافيا من عطفك المنع  
ما سرتني أن النعم قسمي إن لم تكن في ناظري ومسمي  
لأنك حسبي من ضيائه إن دجا يومى، وحسبي من هدى في حيرتي  
رُدَّ علي عيني بجلاءها ورزَّ يقطع محبَّاك على دجنتي  
وينحير عن مقلتي سهادها يا طالبا منعها رقادها ا  
عدني أعش إلى غد بنظرة عابثة كم أخلفت ميعادها ا  
وبسمة تفتحني ولم تقل شيئا، وإنما البيان في الصور  
إذا علت ثرك فذاها الحشا بدميه ثم مشى على الأثر  
ومهة أرق من نفع الصبا نكُن في أدنى ما عاش الهوى  
تألفها جوارى فكلها أذن، وينزاح عن الصدر الجوى  
يا منية الولمان صل بعد النوى أو لا فخذ قلبي وخذ لسانيا  
هذا شغلته بذكري دائم وذلك قد أسهرته الليالي  
حس رفيق فاخوري

## ظموح للأستاذ محمود غنيم

خليلى هل للمجد حد فأتته إليه لقد طال العبور ولم أُرْس  
مأرب تترى، كلما نلت مأربا تنازعني عنه إلى غيره قسى  
فلا النفس إن أبلغت تقف عند غاية ولا هي إن أخيق ترخى باليأس  
كذلك أشقى ما حيت قلن أمت فيا ليت شعري ما ورائي في رمي  
محمود غنيم

يحفظ على أقل تقدير ألف كلمة لنوية بشواهدا من كلام الثبوة  
فأنتم ترون أن بين شيخنا البدر، وبين مجمعنا العلمى  
العربى نسبة موصولة السبب في خدمة لثة العرب  
هو (رحمه الله) كان ينشر اللفظة العربية بواسطة دروسه  
الشهورة، ونحن ننشرها بوسائلنا المجمعية المعروفة  
أذكر أنه زارنى يوما في دار المجمع العلمى، فأجلسته في  
صحن المدرسة، خشية أن يرى في ردهتها سور للتوفين من  
أعضاء المجمع، معلقة على جدرانها، فيمتنع عن الدخول  
كما هي عادة

وبعد أن استقر به المجلس سألتى: وماذا تصنعون هنا؟  
قلت: إننا بامولانا نشغل في خدمة اللفظة العربية وننشرها  
وفي ذلك خدمة للدين الاسلامى ونشره  
ولذا أحد تلاميذه (الطفاء) يلبس كفتته من ورائه،  
ويشير إلى التماثيل الحجرية النصبية في أحد أركان المدرسة،  
فقال لى الشيخ: وما هذه التماثيل؟ وأشار إليها بأصبعه

فسمعتُ إذ ذاك بخطورة الموقف، وبصعوبة الاعتذار عن  
وجود تماثيل في صحن مدرسة دينية اسلامية؛ غير أن الله  
ألمنى جوابا تضمن حقيقة مقولة، لكنها وبالألف  
منسية بمجولة

قلت: إن هذه التماثيل تجتمع في دور الآثار للاستدلال  
بها على تاريخ الجاهلية الأولى، ويدخل في ذلك عبادة تلك الأمم  
للتماثيل، وإرسال الرسل لاهاذم من تلك العبادة، كما كان من  
نبينا صلى الله عليه وسلم منذ أهدأ أهل الجاهلية من الشرك،  
وسقّل نفوسهم بصقال التوحيد

ولكننا اليوم نرى الناس قد أغفلوا دراسة هذه الناحية  
من تاريخ الأمم القديمة، ونسوا نعمة الله عليهم بالبعثة المحمدية،  
حتى إذا رأوا هذه التماثيل في المتاحف تذكروا النعمة،  
وحمدوا الله عليها

قلتُ هذا وسكتُ منتظرا ماذا يقول الشيخ؟ فلم يقل  
إلا خيرا وتيسم ودعالي وللجمع  
رحم الله شيخنا البدر، وأما به عن حياته الصالحة  
بأجزل الأجر...

المفدى



## وراثه العبقريه

« نعرض بجه ( النهر ) الفرنسية بحثا طريفا في  
وراثه العبقريه استعرض فيه كاتبه أحدث النظريات  
الطبقة هنا للوضوح . فأكثرتا على لراء الرسالة »

شملت مسألة وراثه العبقريه طائفة كبيرة من العلماء  
والفلاسفة منهم جالتون وموياس وديو ولبروزو وكرتشمير  
وغيرهم من الباحثين .

وهذه المسئلة تبدو في أشكال مختلفة . تبدو أولا كحالة  
خاصة من معضلة الوراثة على العموم . إذ ما هي الآثار التي يتركها  
الآباء والأهبات ؟ وبأى الأشكال تظهر ؟ وما هي الآثار النفسية  
في تكوين الشخصية للوراثة المجرده من جهة ، والبيئة والتربية  
من جهة أخرى ؟ وهل أثر الوراثة دائم أو غير دائم ؟ وهناك  
وجهة نظر أخرى تعتبر العبقريه والله كاه شذوذاً إذا قررنا بحالة  
الشخص العادي . وكثيراً ما يصحب هذه العبقريه وهذا الذكاء  
فقدان في التوازن الجسدي ، وغالباً في التوازن النفسي . كذلك قد  
تصحبهما حالة جنون

ولأننا نعلم أن عدداً من هذه الأمراض ينتقل بالوراثة ، كان  
لنا أن نتساءل عن مدى هذا الاتجاه للزدوج : وراثه العبقريه ،  
وراثه الاضطراب العصبي أو المرض

إن مما لا شك فيه أن ( في بعض الحالات ) تكون العبقريه  
أحياناً وراثية . وقد ظهر ذلك جلياً في كثير من رجال العلم  
والموسيقين والمصورين والشعراء وكبار الكتّاب

فبين العلماء استطاع جالتون أن يجد أسراً كان بها طالان  
وأحياناً ثلاثة أو أربعة أو خمسة ، وأحياناً أخرى أكثر من ذلك .

ووجد موياس ٢١٥ أسرة اتفق فيها أن كان الأب والابن وافرأى  
الاستعداد الرياضي ، ( بين هذا العدد ثلاثة وثلاثون والذالك لكل

منهم أكثر من ابن واحد موهوب ) . وقد وجد هذا الاستعداد  
في ثلاثة أجيال متتالية سبع عشرة مرة ، وبين خال وابن أخيه

عشرين مرة : وبين أبناء العم مرتين ، وبين أشقاء أو شقيقات ١٣٦  
مرة ، وبين أكثر من شقيقين ثلاثة وعشرين مرة . وكان العالم

الفلكي الكبير ( دومينيك فرانسوا أرجو ) له ثلاثة أشقاء وولدين  
كلهم موهوبون في استعدادهم الرياضي . وكانت أسرة برنولي

Bernoulli أعظم أسرة علمية عرفها التاريخ مما دفع الأستاذ  
دوبليه الفلكي بمردو أن يختص بالكتابة عنها كتاباً  
صدر عام ١٩٢٩ وسماه Les Bernoulli et le Bernoullienum وفي  
هذا الكتاب ذكر الأستاذ دوبليه أن أسرة برنولي شملت  
كروى العلوم الرياضية في جامعة بال — مسقط رأسها — مائة  
عام وثلاثة دون انقطاع ؛ وبقيت أكاديمية العلوم في باريس تحوى  
أحد أفراد أسرة برنولي مدة واحد وتسعين عاماً متوالية

وكانت ترى أثر الوراثة بين العلماء نراه أيضاً بين الشعراء . وقد  
وجد جالتون اثنين من المبالغة في الشعر بين أسر : بيرول  
وشفيه وجوته وهين وراسين . . . . . وثلاثة أو أربعة في أسر :  
أسكيل وارستوفان وكورنى وملتون . . . . . وخمسة أو ستة في  
أسرتى كولريج ووردنورث . . . . .

ووجد جالتون اثنين من الكتّاب والأدباء في كل أسرة من  
أسر بوسويه وشاتوبريان وشامبليون وادجار بون وويل . . . الخ  
وثلاثة أو أربعة في أسر بتيام وبوالو وفينيلون ولينينج وسفيني ،  
وخمسة أو أكثر في أسر فيلينج وماكولى وشليجل وستايل  
وغيرها

وبين الموسيقيين نجد أسرتى بلخ Back ومترس Strauss هما  
الأسرتان اللتان ظهر فيهما أكبر عدد من الموسيقيين . ويسلأ  
تاريخ أسرة بلخ عام ١٥٥٠ ، واستمر يظهر منها الموسيقيون  
الموهوبون ثمانية أجيال متعاقبة ؛ وكان من طائفة هذه الأسرة أن  
يجتمع أعضاؤها المرمون بالفتون مرة في كل عام ؛ فكان يصل  
عدد المجتمعين أحياناً إلى مائة وعشرين فناناً ؛ وقد ذكر فتيش  
Fetis أن هذه الأسرة حوت سبعة وخمسين موسيقياً منهم تسعة  
وعشرون كانوا في عداد النابغين

على أننا لا ينبغي أن نخرج من هذه الحقائق بأن العبقريه  
( دائماً ) وراثية . إذ أن توارث العبقريه محدود بصفة أجيال فقط ،  
كما أنه ليست هناك قاعدة عامة لتوارث العبقريه . بل بالأحرى  
هناك استثناء . ويمكن أن نقول أكثر من ذلك وهو أن العبقريه  
الحقيقية وأغماً منمزة ، أو كما يقول لودوا Lordat : ( إن المبالغة هم

أطفال لتطلاء ورجال أعزباب ) Les génies sont des enfants  
trouvés et des célibataires . ويقصد بذلك أن الطبيعة تمسح حين

يخلق العبقري

وقد ذكر موردو دوتور أن بين طبقات المجتمع التي تحوى أكبر عدد ممكن من الرجال المتأثرين بذكائهم الشديد يوجد أيضاً أكبر عدد ممكن من المجانين . وقد لاحظ كل علماء النفس أن هناك عدداً من المجانين لهم أقارب يتميزون بذكاء متفاوت درجاته . من ذلك أولمبيا أم الاسكندر الأكبر التي كانت امرأة فاسدة انطلق ظاهرة الرضاعة . وكان أب الاسكندر داعراً إلى أقصى حد . وكان الاسكندر نفسه مصاباً بحالة عصبية في كوعه . وكان شقيقه أريدوس — الذي قتل بأمر أولمبيا — أبله متوها

وكان ابن برنارد دوسانت بير ، وإحدى بنات فكتور هوجو ، ووالد وأشقائه فيلمان ، وشقيقة الفيلسوف كانت ، وشقيقة هيجل ، وغيرهم وغيرهم كانوا جميعاً مجانين . وكانت شقيقة ريشليو تنصرون أن ظهرها من البلور ، وكان شقيقه متوها . وكان والد الموسيق بينوفن مدسناً الخمر ، وكان الشاعر بودلير نفسه نصف مجنون . وقد كتب يقول : ( إن الجنون — الذين كانوا إما متوهين أو مجنونين قد ماتوا ضحية جنون قتلهم ) وكان والده الشاعر الأمريكي الشهير ادجار پو شديداً اللذان لتعاطى المشروبات الروحية

وكانت تحدث لشارلوت بران حركات تشنجية في فمها ، وكان دائم التفكير في الانتحار ، وكان أخوه نصف مجنون ، وكان والد بلزاك غريب الأطوار ، وكذلك كان بلزاك نفسه . وكانت جورج صائد شديدة الانقباض والحسرة وهي في السابعة عشرة من عمرها ، وقد حاولت الانتحار فيما بعد عدة مرات . وقد كان والدها يشبهها من هاتين الناحيتين . وكان كحثير من أقارب هوفمان مجانين . أما هوفمان نفسه فقد أصابه الخرق الطول استسلامه للشراب ، وكان يتصور أمام عينيه أشباحاً ويصفيه من جراء ذلك الرعب الشديد ، فيطلب من أمه أن تجلس بجانبه . وكانت خالة هيرتر مجنونة وأخته شديدة الكآبة ، وقد جن ابنها وكان أثر الوراثة المرضية بارزاً في لورد يردون . إذ كان أبوه رجلاً فاسد الخلق وحقاً . وكانت أمه غريبة الأطوار متكبرة طائشة . كذلك كان شوبنهور وارثاً لما كان عليه من غرابية اليول واضطراب الأعصاب . فقد كانت خالة جده وجددها مجنونين . وكان أبوه تتباهى نوبات قوية من الغضب المتزايد والهجم

ولو كانت البقريّة تنتقل بالوراثة دائماً لكان من الضروري أن توجد ( أجناس ) معينة من العباقرة . وهذا مالا وجود له . ( إن البقريّة حادث فجائي يكون أحياناً وراثياً ) Le génie est un accident, qui est parfois héréditaire . وقد ذكر لومبروزو للملاحظة الآتية : ( إذا وضعنا جانباً عدداً قليلاً من الحالات الاستثنائية كالتي نجدتها في أسردارون وكاستيني وبرنولي وسان هيلير وهيرشل ، وجدنا أن البقري لا ينقل إلى ذريته إلا أتبهاً حقيقياً يُعظمه في عيوتنا الاسم المجيد )

إن أبناء العباقرة هم في الغالب مخلوقات عادية بل أقل من العادية . ويقول ج . موردو دوتور : ( إن الملاحظة العامة تربنا أن غالبية أبناء الرجال العباقرة ليسوا فقط أقل من آباءهم ، بل هم كباثر الناس العاديين ) ، وقد أكد ألكسندر تاسوني Alexandre Tassoni أحد كتاب القرن السابع عشر أنه كثيراً ما يحدث أن ينجب آباء عباقرة أبناء عظمى القباوة ، وآباء شديداً القباوة أبناء علماء . واستشهد على النوع الأول بأبناء أفريكان الكبير وأطوان وشيشرون ومارك أوريل وسقراط . ويستند أوسوالد الكيمياء الألماني الشهير أن أبناء الرجال البقري لا بد أن يكونوا أقل منه

وذكر تاسوني رأى أحد العلماء المعاصرين له وكان يفسر النقص في كثرة أبناء الرجال العباقرة بقوله : ( في الرجال العظام تتجمع معظم القوى الحيوية في الخ كما تقويه وتنبث الحياة والصنف في القوى الفكرية . ولهذا السبب يكون الدم والخلية باردتين ضعيفتين . والنتيجة أن يكون أبناء أولئك الرجال وخصوصاً الذكور أغبياء )

وهناك حقيقة أخرى هامة فيما يختص بوراثة البقريّة ، وهي أن هناك ظواهر من الجنون والاضطراب العصبي تحول دون وراثة هذه البقريّة . ذلك أن البقري تصحبه ظاهراً أنواع خاصة من الأمراض النفسية . وكثيراً ما يلاحظ المرض العقلي عند صلف وخطب الرجل البقري . ومن المعلوم أن الجنون ينتقل غالباً وبكثرة شديدة في الأجيال القريبة . وخالات الجنون الوراثي في ثلاثة أجيال متعاقبة عديدة جداً . وكان الجنون فيها في الغالب من نوع واحد . والآن ، أليس هنا تشابه — وإن لم يكن كاملاً — بين وراثة البقريّة ووراثة الجنون ؟

إلى التحام الجنينين ببعضهما إذا كانت الأم تحمل اثنين : وهذا الشذوذ قد ينتقل بدوره بالوراثة . على أن انتقاله يكون بدرجة محدودة ولبعض أجيال فقط ، والاضطراب الذى يحدث فى حالة عدم استمرار التحام الجنينين قد يكون أثره فيما بعد إما أن ينتج عبقرية وإما جنونا ، أو اضطرابا فى الأعصاب ؛ وقد تجتمع الحالتان معا . وأخيرا قد تتبع كل منهما الأخرى ، أى أن يجمع الشخص أحيانا صفات البقرى ومواهبه ، وأحيانا أخرى اضطرابا فى الأعصاب يجعله أشبه ما يكون بمجنون حقيق . وهناك أنواع من الشذوذ تنتقل أحيانا بالوراثة ، وأحيانا لا تنتقل ، مثل الحول ، وقصر النظر ، وصغر أحد أعضاء الجسم أو كبره أكثر من الحد الطبيعى ؛ وأحيانا يكون هناك اتجاه نحو مصادر الانسان الأول . وقد تكلم عن ذلك ريبو فى كتابه عن ( الوراثة ) إذ ذكر أن أسرة كلبورن كان بها شذوذ الست أصابع ( Sexdigitisme ) أى زيادة أصبع فى اليد أو فى القدم ) وقد استمر هذا الشذوذ فى الأسرة مدة أربعة أجيال

والآن ، أليس هناك تشابه بين الشذوذ الجنائى والشذوذ العقلى الذى يسمى العبقرية والذى تكون فيه الوراثة أيضا محدودة ؟ ذكرت مدام تاجوت ولبوكفتش أن سيدة كانت تتبع عبثا وسائل لإجهاض نفسها ، فعند ما وضعت الطفل فى مبطاه المتاد كان هذا الطفل قوى البنية ولكنه كان أبله . وكانت والدة ( كاردان ) قد حاولت إجهاض نفسها أيضا عدة مرات دون جدوى ، وكانت النتيجة أن أصبح الطفل الذى ولدته وهو ( كاردان ) عبقرىا فذا ؛ وقد تكون محاولة السيدتين كلتيهما إجهاض نفسيهما ليس هو السبب الحقيقى ، لكن هذا التشابه كاف لأن برنا كيف تنتج حالات الشذوذ التى تسمى بالعبقرية .

والتي هى وراثية ولكن إلى درجة محدودة  
إذن ماذا عسى أن يكون قانون هذا الشذوذ ؟ ذلك ما لا يعلمه أحد . ومنذ بضعة أعوام قال الأستاذ ج . هكسلى إنه قد يمكن فى المستقبل أن يُحمل كل طفل عبقرىا بتغيير بعض غدده ، وقد يكون ذلك حلما خياليا . على أن مجموع الحقائق المعروفة تثبت أن فى تكوين العبقرية قانونا ينتج ( شذوذا ) خاصا . فمن يدري ؟ قد يستطيع الانسان فى حالة فهم هذا القانون ودراسته أن يصنع العبقرية ما

(...)

الدفين الذى يكشف عن نفسيته المريضة  
وكانت أسرة الفيلسوف رينان - الذى كان يعذبه اضطراب أعصابه - تسودها أنواع مختلفة من الجنون ؛ وكان عمه مأفونا . وقد قضى حياته فى التصمك حتى وجد ذات ليلة ميتا على قارعة الطريق . وكان جد رينان شديد الوطنية عظيم الاخلاص ، ولكنه قد علقه عام ١٨١٥ م نتيجة هم ألم به . وقد أصبحت بلدة تريجوير التى ولد بها رينان ممتلئة بالمجانين وأنصاف المجانين نتيجة إكثار أهلها من زواج بعضهم ببعض  
فما ذكرنا يظهر أن العبقرية ليست محدودة . وأنها لا تمتد إلا لأفراد مخصوصين ، فلا بد إذن من أن نعرف أن هناك شيئا آخر غير الوراثة المجردة . إن العبقرى يظهر فى الأسرة فى لحظة معينة ولا يمكن أن يظهر قبل ذلك . كذلك قد يتبعه وقد لا يتبعه عباقرة آخرون . والأب العبقرى قد يكون له ابن عادى ، وقد يكون هذا الابن غبيا . وإذا استمرت الأسرة فى إنتاج عباقرة كثيرين فإن هذه الظاهرة تقف بعد بضعة أجيال كأن الطبيعة قد ظالمها الزهق والفضى . وأخيرا كثيرا ما يحدث أن يحمل الجنون عمل العبقرية ويكون ذلك راجعا إلى نوع خاص من الوراثة متأثر بموامل غير وراثية

وقد قال البعض : إن الوراثة والبيئة يتعاونان معا بنشاط على لإيجاد العبقرى ، إذ أن ( الوراثة ) لا تنتج فى الرجل إلا ( ما يمكن أن يكون ) وليس ما سيكون ، أما آثار الوسط وحدها فهي قادرة على تحويل الاحتمال إلى أمر واقع . على أن (الوسط) لا يكون تأثيره بعد الولادة فقط ، بل إنه يؤثر فى الشخصية المستقبلية قبل الولادة ، وذلك بطرق مختلفة

ولقد عملت أبحاث فى جلاسجوى عن علاقة عدد المواليد بالكفاءة فظهر أن عدد المواليد يزيد عند الرجال الأقل ذكاء ، كذلك الأمر يتكاثر عندها كلما قلت الكفاءة العقلية عند أمهاتها

إن العبقرية شذوذ وشروء من الحالة العادية ، وهى بلا شك اضطراب أكيد ؛ هى حادث فجائى ، وكذلك الجنون ، وهذا الحادث الفجائى قد يرجع إلى حالة الوالدين قبل الحمل أو إلى اضطراب يصيب الجنين ، فما يحدث للوالدين قد ينتج عند الطفل نوعا من الشذوذ النافع . وقد ينتج تشوها فى خلقته ، أو يؤدى

دراسات في الأدب الانكليزي

## ٤ - وليم وردزورث

William Wordsworth

بقلم جريس القسوس

تمت

الحركة الرومانسية

زواج ، كهنة ، منبره ، حياة

أهم أبطال هذا الظاهر يرون وشلي وكيتس . وتتميز هذه الحركة أيضاً بالتقرب إلى الطبيعة وانتزاع الموضوعات الأدبية منها ، والابتكار في اختيار الموضوع ، والتفنن في التعبير عنه ، لا التسج على منوال الأقدمين كما هو شائع في العصر الكلاسيكي وإذا ما ألقينا نظرة على شعر وردزورث ألقينا بمثل الأدب (الرومانتيكي) أصدق التمثيل ، وما يصدق على شعره يصدق على آرائه ونزعاته ، وخاصة في مسهل جهاده الأدبي ، حينما كان من أنصار الثورة الفرنسية التي كانت عمرة فلسفة روسو بطل الحركة الابتداعية

تزوج وردزورث سنة ١٨٠٢ م من ماري هتشمن ، من تلك المائلة التي كان يكثر من التردد عليها . ويروي أنه أراد أن يشتر زلته مع خديشته « أنيت فالون » قبيل إقدامه على الزواج ، لمفنا شرح في استرضائها بشتى الوسائل ، والظاهر أنه نجح في ذلك . وألقى نعله أن ( أنيت ) هذه لم تلاق جفاءً ومضناً في حبسها ، وأن ابنتها زوجت من أحد السراة . وفي قصيدة للشاعر موضوعها « على الشاطئ قرب كاليب » يخاطب ابنته هذه ويرحم بها بكل وداد وتمحنان . على أن هذه القصة لا تزال طلي الخفاء ولم ينكشف لنا منها إلا الشيء القليل . والباحث في ترجمة حياة وردزورث وتحليل عبقريته يود لو أنه ذكر لنا تلك الحادثة بالتطويل شارحاً بذلك عواطفه نحوها وحبها لها قبل وبعد وقوعه في الجرم . لو فعل الشاعر ذلك لوقر على الباحث الشيء الكثير من الحس ، ولأناز لنا هذه الناحية المهمة من حياته غير نارك بذلك مجالاً لتقول المثقلين ، وإشاعات المشيعين ولقد وجد في زوجته امرأة سامية الخلق طالية المداوك شديدة المطف والاحساس ، لا تقل بذلك عن أخته دوروثي . فلا عجب أن رأينا دوروثي تخذ إلى الراحة بعد أن أدت واجبها إلى أخيها ونحو الأدب بكل أمانة وإخلاص ، إذ رأت في امرأة أخيها خير خلف لها . ولقد خلد الشاعر اسم زوجته هذه في قصيدة موضوعها « هي مثال الرضا » She was a Phantasm of delight

وفي سنة ١٨٠٨ ورده نى أخيه يوحنا ، فقد مات غرقاً في أحد المراكب التي كان يتولى إدارتها . فكان ذلك باعثاً للحزن والأسى في نفسه . وعلى أثر موت شقيقه نظم قصيدة خالدة عنوانها « أخلاق المجاهد السيد » The character of the Happy warrior مشيراً فيها إلى أخيه وحياة الحفاة بجليل الأعمال ، وهذه القصيدة

أما أبطال هذه الحركة فهم : الفيلسوف الشهير كانت في ألمانيا ، والكوردنيل وسلي في بلاد الانكليز ، وروسو في فرنسا . ولا غرو في أن الأخير كان فارس هذه الحلبة وسيد زعمائها في مختلف البلدان . فقد نادى بالرجوع إلى الطبيعة ، وببساطة الماطفة على أعمال الانسان . ونظريته في التربية تخلص فيها إلى : « ترك غريزة الانسان وجسمه وقواه العقلية تنمو في مجراها الطبيعي ، وذلك بنقد قيود المدنية الحاضرة ، والتقرب من الطبيعة »

وبعد مرور نحو ربيع قرن على وفاة فيلسوف الثورة رجع شاعرنا صدى صوته في إقليم البحيرات ، وأصبح حامل اللواء (الرومانتيكي) في بلاد الانكليز . وتماز هذه الحركة بسمو مقام الرجل العادي ، فقد أصبح موضوع الأدب بدل الرجل الارستقراطي ؛ وهذه اللزة تظهر بجلاء في قصص سرولتر سكوت ، ودكنز ، وفي معظم قصائد شعراء القرن التاسع عشر ، وتشجع هذه الحركة حب الأطفال وتقليد لهم . كما أسلفنا . أقرب إلى الفضيلة من الشيوخ . ولقد رأينا شيئاً من هذا في أشعار وردزورث ، وظهر شيء منه في نثر « لامب » وخصوصاً فصله المشهور : « أطفال الحلم » ، وفي أشعار سوتيرن أحد شعراء القرن التاسع عشر للتأخرين . وتماز أيضاً بالولع بالحياة والاهلية منها والبرية ، وبحب القصص التي تدور حوادثها على الحب والحرب ، خصوصاً ما كان منها شائماً في المصور الوسطى ؛ والتي بطلها الرجل العادي لا الارستقراطي . ومن أهم مظاهرها شيوع الدين والتقوى ، والتأمل والبحث في أسرار الكون ، والخروج على المبادئ المألوفة ، والتمرد على الهيئة البشرية . ولقد اتخذ الأدب سلاحاً لمحاربة مخاوف الحضارة وقيودها ، ومن

أن ترفك إلى المركز الذى يليق بمقامك الأدبي والاجتماعي ،  
مادمت في رأيها ورأى الجميع سيد الشعراء الأحياء على الإطلاق ؛  
فلا ترفض هذه النعمة »

وبعد ما اطلع وردزورث على هذا الكتاب الرقيق قبل  
هذا النصب الحامى فتزوج باكيل من غار ، وأصبح خليفة ملتون  
الأوحد ، ولم يُنتج بعد نبوته هذا المركز الرفيع شيئاً خالفاً ،  
بل استولى عليه الحول منذ زواجه ، ومنذ أن بدأت الحكومة  
تمده بمعاش سنوى كاف . ومن القصائد الشهيرة التى نظمها  
بعد ذلك الأوان واحدة ضمنها ولاءه وشعوره نحو صاحبة الجلالة  
قدّمها إليها مع نسخة من ديوانه

وفى سنة ١٨٤٧ م توفيت ابنته ( دورا ) فجلت بذلك  
وفاته . وكانت وقته فى الثالث والعشرين من ابريل ( فى اليوم  
الذى توفى فيه شكسبير ) من سنة ١٨٥٠ م . وهكذا خد ذلك  
النفس الذى كان يلهب عاطفة وعطفاً على الفقراء وولماً بالطبيعة  
ولقد دُفن جنباً إلى جنبه فى كنيسة فى ( قرانمير ) - حسب طلبه -  
فى حوض ذلك الوادى الذى نشأ فيه وترعرع ، وبه تفتى ،  
وبذكره أشاد .

ولقد أقيم له نصب تذكارى من رخام فى مقبرة الشعراء فى  
( وست منستر أبى ) محيط به أنصاب تذكارية لكبل وأرنلد  
وكنجزلى وموديس ، وتحت على هذا النصب الكلمات التالية :  
« لقد كرى ولیم وردزورث الشاعر اللهم والفيلسوف الكبير  
الذى وُهب عقله نيراً ، ولساناً غنياً ، ليتحدث إلى الطبيعة  
والبشر ، الذى لم يأل جهداً فى نشر الفضيلة والكمال ، والذى  
تفتى وأشاد بذكر البسطاء والفقراء ، فذاع صيته بين العام  
والخاص ، وأصبح رسول الحق وزبى الشعر . قد كراه يشيد  
أصدقائه والمحبون بأدبه هذا النصب التذكارى ، لينطق بنبوغه  
على مدى الأيام »

الكرك - شرق الأردن مبريس القصرين

مصادر هذا البحث

- 1 George Harper's W. Wordsworth, Life, Work and Influence
- 2 Zeitlin's Hazlitt on Eng. Literature: ch. X
- 3 Wordsworth's Poetical Works: Students Camb. Edition
- 4 Goss' English Literature: Vol. IV
- 5 Cazamian's Eng. Literature: P. 1034 ff
- 6 Oliver Elton's Survey of Eng. Literature: Vol. II; P. 49 ff
- 7 Moody and Leavitt's English Literature: P. 273
- 8 Wordsworth's Preface to Lyrical Ballads

من الشهرة ما جعل الانكليز والأمريكان يتلونها فى مآتمهم ،  
فيجدون فى ذلك ما يمزى النفوس ويسرّى عنها الأحزان  
وفى تلك السنة أيضاً انتقل الشاعر وامرأته وأولاده الأربعة  
إلى ألان يارك إلى بيت رخب الفناء جميل الشكل حيث أتم  
قصيدته : ( النزهة ) . هناك افترق الشاعران الصديقان كولردج  
ووردزورث ، وذلك على أثر تعريض ووردزورث بصديقه ووصمه  
إياه بالجنون الناتج عن إدماجه الأفيون ، فكان لهذا أثر بليغ فى  
نفس كولردج لم يطق بملء العيش معه ، وبانتهاء صداقتهما انتهت  
حياتهما الأدبية الطيبة ، ويندر أن نجد بين عيون قصائد  
وردزورث واحدة نظمت بعد ذلك الافتراق

وفى سنة ١٨١١ انتقل شاعرنا إلى بيت مجاور لأحدى  
الكنائس حيث توفى اثنان من أولاده ، إلا أنه لم يمكث هناك  
طويلاً ، بل رحل سنة ١٨١٧ إلى بيته الجميل فى ( كدل ماونت )  
حيث أتيح له أن يلقى شخصيات ذات أدب جم ومكانة اجتماعية  
سامية ؛ ولقد قام برحلات شتى أهمها إلى أواسط أوروبا ، وأخرى  
إلى سكوتلندا ، وعلى أثر رحلته الأخيرة نظم خمس عشرة قصيدة  
تفيض بذكريات الطفولة وأحلام الشباب ، منها قصيدته المشهورة  
( الحصاد المنزل )

ولقد لبث طيلة هذه المدة مكلوم الفؤاد ، حزين النفس ، لما  
حل به من المصائب والويلات المديدة ، ولما كان يلاقيه من جفاء  
وخصومة فى الأوساط الأدبية . غير أنه حليث فى سنة ١٨٣٩  
ما طيب نفسه وسرى عنه شجونه وهوموه ، وشجعه فى مبدئه ،  
فقد عرفه كيبيل Keble أحد كبار أسانذة كبردج إلى أحدى  
الشخصيات الكبرى فى البلاط ، وأشاد بذكره أمام ذوى  
الناصب السامية ، فذاع صيته بين الخاص والعام ، وأحرز مركزاً  
رفيعاً فى الأدب لا يقل عن مركز ملتن

وفى سنة ١٨٤٢ منحت الدولة مرتباً سنوياً مقداره ٣٠٠  
جنيه تشجيعاً ومكافأة له ؛ وبعد موت روبرت سذى سنة ١٨٤٣  
عرض عليه منصب شاعر الدولة ، فرفضه فى بدء الأمر لبلوغه  
الرابسة والسبعين ، وقيل لأنه رأى صحوة وعناء فى نظم قصيدة فى  
كل سنة يلقيها فى عيد ميلاد الملكة كما جرت العادة قبله ، غير أن  
رئيس الوزراء سر روبريل دادو وبث إليه بكتاب تقتطف منه مايلي :  
« لما كانت صاحبة الجلالة تولىك ثقتها التالية فبادر بقبول  
هذا المنصب ، وكن عند أملها فيك . وإنها لتتوخي بعملها هذا



صور من التاريخ الاسلامي :

## عبد الله بن الزبير

( ١ - ٥٧٣ )

بقلم محمد حسني عبد الرحمن

تمة ما نشر في العدد الماضي

وقد يكون من الانصاف للحق والتاريخ أن تثبت هنا آراء غيره ، بمن طاصروه ، في أسباب طلبه هذا الأمر ، وانهما فيه : يروي السعدي أن ابن عباس كان يقول « أما والله ما عرفت عبد الله إلا صواماً قواماً ؛ ولكنني مازلت أخاف عليه منذ رأيته تنجبه بفلات معاوية الشهب ؛ وكان معاوية قد حج فدخل المدينة وخلفه خمس عشرة بغلة شهباء ، عليها رحائل الأرجوان ، فيها الجوارى الحسنان ، عليهم الثياب ممصفرات ، ففتن الناس بموكبه »

وقال ابن الزبير لامرأة عبد الله بن عمر بن الخطاب : لاني لم أخرج ولم أطلب الخلافة إلا غضباً لله وللمسلمين من أمة معاوية وابنه ، فهم يستأثرون بالناس دون الناس ، ويستحلون عارم الله . قال هذا وسألها أن ترجو زوجها في مبايعته ؛ فلما جاء زوجها ذكرت له ابن الزبير وعبادته وجهاده ، وأثنت عليه قائلة إنه يدعو إلى طاعة الله عز وجل وأطاعت في مدحه ، ثم طلبت من زوجها أن يبايعه ويؤيده ، فأجلبها ابن عمر لا ويحك ؛ أما رأيت البتلات الشهب التي كان يحج عليها معاوية قادمًا إلينا من الشام ؟ قالت ، بلى ؛ قال والله ما يريد ابن الزبير بعبادة غير من !!

فهذان اثنان من أقطاب الرجال في عصره ، ومن قوى الشرف والفضل والنزاهة في المسلمين ، يقرران أنه ما بيني إلا الدنيا ، وأنه يتخذ من العبادة سُلماً يرقى به إلى قلوب الناس ، ليسا مدعو على قضاء مأربه في الخلافة

والتي يمكن أن نستنبطه من ظروف الحوادث في ذلك العصر ، أن سمي به وراء الخلافة كان مبنياً على طائفة من الأسباب إذا راعيناها جميعاً ، أمكن التوفيق بين وجهات النظر المختلفة ؛ فقد أراد أن يُلَى أمور المسلمين ، ليحقق زعمته وشيخ رغبته ،

وليعدل في المسلمين ، فيرد الأمور إلى جاتها الأولى ، ويقم الأمر بالقسط ؛ فكانه كان يبنى بذلك أمرى الدنيا والآخرة معاً

ومهما يكن الداعي إلى طلبه الخلافة ، فإنه كان كفواً لها ، وقد واثقه الغرضه ، التي لبث يترقبها زمناً ، بموت يزيد وابنه معاوية الثاني ، ولم يبق في السفينة من يقوى كاهله للقيام بأعباء الخلافة ؛ وحينئذ نرى عبد الله يُهم بالعمل الجريء ، فهو رجل الساعة ، والظروف المهيأة تنتظر منه الثوب والظهور ، وقد كان ذلك ؛ إذ دعا لنفسه على منبر الحجاز سنة ٦٤ هـ ، ولم تلبث الدعوة الجديدة أن مرت في أنحاء العالم الاسلامي ؛ فخطب له على كافة المنابر ( بالراق وخراسان والحجاز والشام ) سوى بعض جهات بالشام كان هواها ما يزال أمويًا

وهنا تقوم عقبة شاقة أمام الخليفة الجديد ؛ فأهل الشام الذين لم يبايعوا قد أخذتهم نفرة المصيبة ليلدم ، فيمشي بعضهم إلى بعض ، وفيهم الرؤساء والقواد يشاورون ويقلبون الأمر على كافة وجوهه ، حتى لا يُفقد الملك من أيديهم ، ولا يخرج السلطان من يدهم ؛ ثم يُسفر اجتماعهم وتشاورهم على أن يبايعوا مروان ، وإن لم يكن سفيانيًا فإنه أموي ؛ وهو بعدُ أرشد القوم وأحزمهم وخير من يُستند إليه هذا المنصب من أهل هذا البيت ، في مثل تلك الظروف ؛ ولكن الضحّاك بن قيس ومعه جنده يارضون هذه البيعة بشدة ، يريد أن يتم الأمر لابن الزبير ، فتقع الحرب بين الفريقين بالشام ، وتلوح بشار النصر للضحّاك ، فيمد مروان القاهية إلى الحيلة « كما فعل معاوية مع علي سابقاً » ويطلب الهدنة ، ثم ينقض بمجنده على جيش عدوه بقتة ، فيشتتهم ، ويقتل قائدهم الضحّاك ( بمرج راهط ) . وهذه الهزيمة تنطق دعوة ابن الزبير بالشام ، وتقوم الراية الرومانية تحف في روجه ولو أن الضحّاك ساعده الحظ وانتصر في مرج راهط لتغير أمر الخلافة ، ولحيست الدولة الأموية في أول عهدها ، وانتقلت سلسلة التاريخ الاسلامي ، فرويت على غير وجهها الذي نرى عليه اليوم

\*\*\*

بعد هذه الموقعة أضحى للمسلمين خليفان ؛ أحدهما بالحجاز ، والثاني بدمشق ، ولكن مروان تعاجله النية بعد قليل ، فبلى الأمر من بعده ابنه عبد الملك سنة ٦٥ هـ . وكان عبد الملك حازماً

وفيه صرامة ، وله عزيمة ورأى شديد ، ولكنه مع هذا كله  
 تراه يهيب ابن الزبير ، لما ثبت له في قلوب الناس من المكانة ،  
 ولأن كثرة الأقطار الإسلامية تؤيده . فكّر عبد الملك في  
 الأمر طويلاً ، ثم طفق يعد للحرب عدتها ، فأخذ يحشد الجنود ،  
 ويرضها بنفسه ، وصمم أن يحسم هذه المشكلة الخطيرة التي  
 بينه وبين منافسه ، فيحسن بنا أن تتركه قليلاً يستقر في منصبه  
 الجديد ، وينظم جيوشه ، ويرى رأيه ، لتتظر ماذا يفعل الخليفة  
 الآخر مع الوفود التي كانت تأتيه من أنحاء البلدان وأقصى  
 الأمصار ، لتقرر بخلافته ، وتجدد بيعته ، وتطلب منه المطاء  
 وتظهر له حسن استمداده لنصرته وتأيدته ، ولتري في الجملة  
 سياسته مع جنده الذين هم عماد خلافته وسند دعوة

جاءه مصعب أخوه بجماعة من أعيان أهل العراق ، بعد أن  
 مهدها ، وملك زمامها ، وخطبه قائلاً : « لقد جئتكم بوجوه أهل  
 العراق ورجالها ، ليؤكدوا لك البيعة ، وليأخذوا منك  
 المطايا ١٠ » فیدعوه حرصه أن يمنهم المطاء ويقول لأخيه :  
 « إنما جئتني بمبيد أهل العراق ، يستنزفون بيت المال ، لوددت  
 أن لي بهم صرف الدينار بالدرهم ١١ » . وكان هذا الرد طعنة  
 نجلاء أصابت قلوب أهل العراق ، فزلزلت خلافته ولما نزل في  
 مهدها ، وما فقه يجرى على هذه السياسة ، سياسة الحرص  
 والشح بالمال ، مع التأنيب والزجر ، وعدم التشجيع بالكلمة  
 الطيبة . ولقد بالغ في تقتيره على الجنود أيعا مبالغة ، فكان أحياناً  
 يقتصر على إطعامهم التمر ، مع التقتير في صرفه لهم ، فأذفروا أنهم  
 بقوله : « أكلتم تمرى ، وعصيتم أمرى » حتى قال فيه شاعرهم :  
 ألم تر عبد الله ، والله غالب على أمره ، يسيء الخلافة بالتمر ؟  
 وكان يدعوه حرصه أن يقول : ماذا عسى أن أنتفع بالدنيا ،  
 وإنما بطني شبر في شبر ؟ ويقول للسودى : أظهر عبد الله  
 الزهد وملازمة العبادة مع الحرص على الخلافة ، وشبر بطنه .  
 وليس من شك في أن سياسة التقتير التي نهجها هي سياسة  
 طاجزة ، لا تنتج إلا الهزيمة وسقوط الدعوة ، وضياح الأمر ،  
 فلا يسعنا إلا أن نقول إن هذا موطن ضعف كبير ، ما كان  
 ليليق بطالب الخلافة ، ولا سيما إذا وجد أمامه مزاحماً قوياً ،  
 وخصماً عنيداً كعبد الملك بن مروان ! إذ كيف يبذل الجنود

في سبيله الدماء ، ثم يضمن عليهم بالمطاء ؟ إن هي إلا الهزيمة  
 الكبرى ! وإذن فقد جنى على عبد الله بخله ، حيث صرف عنه  
 القلوب ، فتحوّلت الوجوه إلى الخليفة الآخر ، يجدون فيه ملكاً  
 يكثر المطايا ، ويكرم الوفود ، ولا يعضد الدرهم والدينار ، بل  
 يجمود بالدنيا لتقبل عليه الدنيا ، أجمعت قلوب الناس إلى عبد  
 الملك ، وشخصت أبصارهم إلى يريق نضاره ، فلما أنس بهذا ،  
 ووثق بضعف عدوه من هذه الناحية ، توجه يقود جيشه  
 الكبير إلى البصرة — وكانت لمبد الله مركز قوته ، كما كانت  
 الحجاز موطن دعوته — فلاقى بها أخاه مصعباً ، ودارت بينهما  
 رحا الحرب ، فقتل مصعب ، وهزم جنده ، واستولى عبد الملك  
 على العراق حصن الدعوة الزبيرية . وفي الحق أن عبد الملك ما قتل  
 مصعباً ، وإنما أرداه وهزم جيشه حرص أخيه على الدنيا ، حرصاً  
 نقر منه القلوب ، فأسلمه أهل البصرة : وفروا إلى صفوف العدو ،  
 فقل ناصرهم ، وراح خيبة التقتير وسوء التدبير

لم يبق بعد هذا إلا أن يلتقي القرنان ويتصادم الجيشان  
 بالحجاز . فلندع عبد الملك ينظم أمر العراق الذي دخل في حوزته  
 بعد النصر ، ولنترك له فرصة يجهم فيها جيشاً آخر ، تحت إمرة  
 قائده الجبار الحجاج بن يوسف الثقفي ، ليلقي به عبد الله في الحجاز .  
 لنضع كل هذا جانباً لنشاهد موقف بني هاشم من خلافة ابن  
 الزبير ، وما صنع هو معهم بالحجاز !

كان ابن عباس وابن الحنفية وغيرهما يملكون من قبل طموح  
 عبد الله إلى الخلافة ، وينكرون عليه في أنفسهم ، بل كانوا  
 يستكثرون عليه ذلك ، ويرون أنه ليس أحق منهم بالأمر ( وإن  
 كان أحق من مروان وابنه ) وكانوا يرون أن الذي يدفعه إلى  
 هذا إنما هو الجشع والحرص على الظاهر الدنيوية ( وقد ذكرنا  
 حكايات البغلات الشهب عن ابن عمر وابن عباس ) — فذلك لم  
 يبايموه ، فحق عليهم ، وضيق خناقهم ، حتى إنه فكر في الخلاص  
 منهم ، فحبسهم في شعب عارم ، وجمع حولهم حطباً كثيراً ،  
 وهدم بالأحراق ، وكاد يقضى عليهم ؛ ويقال إنه ما فعل هذا  
 إلا خوفاً من تفرق الكلمة ، واختلاف الناس ، كما فعل عمر مع  
 علي لما تأخر عن مبايعة أبي بكر ، فقد هدده كثيراً

ولقد لجأ ابن الزبير إلى النبي عقاباً لمن تخلف عن بيعته ،

السؤالُ عني ، فلا يقولون : أخذكم أين عبدُ الله . . . ألا من كان سائلاً عني فاني في الرعيْل الأول ، احموا على بركة الله . . » وبعد أن بثَّ الحِمْيَةَ في قلوب من حوله ، وألهمهم حملة ، حمل على عدوه بسيفين صارمين ، يضرب بهما معاً ، فيهزم الداخلين عليه من هذا الباب ، ثم لا يلبث أن يشكّر الحاجون على الباب الآخر ، فيصعد لهم ، حتى يولوا الأدبار ، فيوقع بهم ، وهو يقول : « ياله من نصر ، لو كان له رجال ١١ »

لو كان قرني واحداً أردبته أوردته الموت وقد ذكيتُه ، ولم يزل يضربُ القوم بصارميه وشتت شملهم ، حتى قذف بحجره ضخماً أصابه بين عينيه نحرٌ صريماً ، وتكاثر الجندُ على البطل المضرِّج بِمِصْرِهِ الحرام ، في المسجد الحرام ، واحترأوا رأسه ولم يرعوا فيه ديناً ولا رَحماً

وكان مصرع البطل الشهيد سنة ٧٣ هـ بعد أن أدرك وطره وسلم الناس عليه بالخلافة زهاء تسع سنوات ، كانت كلها خطباً واستمداداً ، وحرباً وجهاداً

\*\*\*

وبعد فهذا بطل سيندي ، وخليفة شهيد ، نرى في طلبه الخلافة ، وتعرض نفسه للمخاطر ، إبان تلك الظروف المصيبة حديثاً على المسلمين ، وأتقن أن يُساموا الخسف من بين أمية ، ونوعاً من التضحية في سبيل الجماعة ، كما نلح في نفسه زُجَّة سامية ، وشرقاً وشجاعة ، لا نجدُها في كثير من رجالات عصره ، فلقد كان هو رجل الوقت بلا منازع ، لم يتوقع بنو أمية الثوب الظافر عليهم من غيره ، ولقد صدقت فيه قراسة معاوية

والحق أن خلال عبد الله منذ نشأته كانت ترشحه وتمده للخلافة ، ولكن لأية خلافة ؟ للخلافة المتشقة الحريصة على أموال المسلمين أن تنفق في غير وجهها ، لتلك الخلافة الترفه التي تنفخ في النسيم ، وتتمرُّها أبهة الملك ومظاهر السلطان ؛ ولو لم يرْ عبدُ الله بطرفه إلى هذا المركز السامى ، لكان ذلك غريباً عن طبعه ، مناقضاً لنشأته ، وعلو همة وطموحه ؛ فلنسجل له ثورته النبيلة القاسية على من طلبوا الملك والدنيا باسم الخلافة الإسلامية العتيقة

محمد مهدي عبد الرحمن

(ميت غر)

فأخرج محمد بن الحنفية من مكة والدينة ، ونفى ابن عباس إلى الطائف ، وبهذا العمل المدائى مع بني هاشم ، واضطهادهم ، ضم سيلاً جديداً قوياً إلى أسباب خذلانه ، وإفلات الأمر من يده ، فكان بذلك مجانباً الحزم والسياسة الرشيدة

\*\*\*

ويسيرُ الحجاج ذلك القائدُ المتيدُّ إلى الحجاز ، فيستولى بعد مناوشات قليلة على جبل أبي قبيس الذي يُطلُّ على مكة ثم يحاصرُ البكة الحرام ، فتتمطل مشاعرُ الحج ، حتى إنه هو وجنوده وقفوا بمرقات ولم يطوفوا بالبيت ذلك العام ، وطاف عبد الله ومن معه بالبيت ولم يقفوا بمرقات ؛ وطال الحصار حتى سئم أهل مكة ؛ ويقول الطبري إن الحجاج حصره ثمانية شهور ، ولم تزل الحرب بينهما حتى تفرق عنه عامة أصحابه ، وخرج أهل مكة إلى الحجاج بأمان ، ولم يصبر مع ابن الزبير سوى فقره قليل ممن يابسه على الموت دونه

وفي يوم عصيب ، من أيام الحصار العسير ، يدخل عبد الله على أمه أسماء ، فيدور بينه وبينها حوار رائع ، يمرض عليها حاله وما آل إليه أمرُ أصحابه ، ويطلب مشورتها ، فتبذل له النصيحة ، وتحثه على الاستمساك بما ولّاه السلطان ، وأن ينافع عن حقه إلى آخر قطرة من دمه ، وألا يقبل من عدوه خطه يصحبها أقبل ، وتقول له في عبارة حماسية مؤثرة : « والله يا بني لضربة سيف في عز ، خيرٌ من ضربة سوط في مذلة » وتلبيه هذه النصيحة ، وتثير صفوته ، فيخرج إلى المدو في قلة من محبيه ، وفي كثير من جنديه وإعانه ، وقوة عزيمته ؛ وحينئذ تقرأ في جهاده واستبساله أروع صفحة للبطولة الكريمة ، والظاع عن الحق العظيم ، صفحة يتجل فيها البلاء الحسن ، والصبر الجليل والاعتماد على قوة اليقين ، مع ضعف المدد والمسد ، ووفرة العدو وإحاطته ، وتعكبه من قاسية الموقف . ملك الحجاج عليه أبواب المسجد الحرام ، وحاصره فيه ، فبات يصلي ليلته ، ثم أغنى قليلاً ، وقام يصلي الفجر ، ولما انقفل من صلاته أخذ يستعد للزوال ليرى آخرتهم في كنفاته ، ولحوت بعده شهيداً الرقام لبدنه ، ثم قال لمن معه : « يا آل الزبير ! لو طبتم لي نفساً عن أنفسكم كُنّا أهل بيت من العرب ! أما بعد فلا يرعكم وقع السيوف . . . غصوا الأبصار عن الباقية ، ولا يلبسكم

## نحو الفجر للأستاذ عبد الرحمن شكرى

القصيدة :

إن الذى يأمل للانسانية جراً تجلب فيه ظلمة الغيم والفر ،  
يرى في فجر كل نهار رمزاً له ووعداً به ؛ فيتسلل بهذا الرمز  
وينظر إنجاز الوعد آملاً أن الثومة التي يحدث فيها للانسانية  
كاينس من الأضنان والأذى والانتابذ والكيد ، والاستهتار  
فيالبت بالحق ، يكون فيها أيضاً نسيان لحاصلها الوضعية يدركها  
من طريق سنة النوم فتستيقظ في خلق الحق والخير (التألم)

\*\*\*

أرقت فطال الليل أم طال لي عمري  
كأني في لجج من الليل غارق  
كأني غريب من حراك لواعجى  
كأن غصون الدوح في حندس الدجا  
كأن النجوم الثنائيات ترهبت  
أو الفلج منهدوماً بحقل ينفسج  
أو أن نقوباً في حدار زبرجد  
أقلب طرفي بينها متفهماً  
كأن الدجا دبر به البدر راهب  
كأن صقيماً قد كا الأرض نوره  
كأن فراشاً أيضاً مدَّ نوره  
أما يذهل الراؤون من سحر ضوته

وقد تحسب الأحلام تسرى وما تسرى  
وإن تلك أحلام فأوهام خاشع  
أبحلم هذا الدوح في سحر ضوته  
كأن خفيف الفرح أضفأت حالم  
أدور بعيني لا أرى غير ما كن  
وإن نشاط القوم للهوى والهوى  
ألا ليت نسياناً كذا النوم سابقاً  
لتنهلمهم عن كل شر وقتنة  
خواطر آمال أسلى بها الدجا  
فلما تقضى الليل وانجلب جنته

تشوب اخضرارَ الروض صفوة ساطع

من الضوء مثل القيد في حلق خضر  
كما تينع الأثمار شاب اخضرارها  
لدى النضج لون في غلاظها الصفر  
وحي تلك من أهدأ الأرض والبدر  
أحلك عليه الفجر وشيأ من السحر  
أظل وطرفي في مدى الأفق ذاهل  
ويزنوني إلى الفجر من خلف ظلمة  
كأن تماًتاً في الدجا أهلك الدنيا  
كأن كيان الكون يخفق ثانياً  
تخال تبشير الصباح أزاهرا  
إذا ما بدت فوق الشجيرات كالنور  
فيختلط الزهران حسناً ومنظراً

ويزداد نظراً الحسن من مشهد النظر  
تحدث أنباء السماء بشرق  
من الضوء مثل الرسل تبعث بالخير  
تبادها منها محاسن حجة  
وكم ذكر في الضوء والزهر والمطر  
كأن وواء الصبح ضرب من الشعر  
وخاطرة في النفس تسعد في الشعر  
باح عليها يدس الشعر بالنهر  
أريق عليه ساطع من سنا البدر  
فحكى حنين الطير تنهفو إلى الزكر  
ويذكرى الندى فوق الشجيرات كالنور  
لدى هداة يفتخر النبات على التهر  
فعلو لجين النهر نهر من التهر  
كما ارتعدت أثير غيد من القهر  
يعالج من حاله في القهر والحمر  
ويلا مثل العين بالصور الكثير  
ولولاه ما أذيت في الكون ما يغري  
لجاء صبح التهر من سحب سحر  
وليس رواء الكون في الصيف وحده  
جلال يريح النفس من بعد رونق  
على أن ذكرى الصيف فيه جلية  
غنى التهر من ذكرى وفي الروض من ذكر

المثل الأعلى في السيمفونية

مبارة عبقرية مثالية

## اللحن الذي لم يتم

Symphonie inachevée

للأستاذ خليل هنداوي

— ١ —

قد يكون الأفيال على هذا القلم الناطق بالألمانية ضيقاً ، لأن  
خبره لم يترك مجالاً للعادة تنبث بالفن ، وللمصلحة تطلب على  
الماطفة ، وللمبت تطوى يداه على « مثل أعلى » ألفت عبقرية —  
أقامت في الأرض عمرها — بمداد روحها ودماء قلبها . على أن  
هذه الحياة قد فذت ، ولم يبق خالصاً ظاهرها ولا باطنها ،  
فالقوم قد لجوا من صراع المادة للمستحوذة عليهم ، وهم الذين  
تركوا لها مجال التسيطر ، تفر المادة منهم ، وهم إليها يفرون ،  
وقد آل بهم هذا الصراع الدائم إلى أن يسموا عن جوهر الحياة  
الذي وضعته الحياة على أبنائها يوم كانت ، فهم من صراع إلى  
صراع ، ومن نزاع إلى نزاع ، لا ترتاح لهم جنوب ولا تستقر  
مضاجع . أحلامهم طامحة بالمرآك كيقتلهم ، وليت شعري لم  
هذا المرآك ، وليت فيه هذا النزوع إلى عبادة الحياة ، فهم  
مضطرون إلى تهديده أعصابهم المجنونة وقلوبهم الثائرة بالقهر  
والهيب ، يطلبون القهر متى انتهوا من جدهم ، ويتوخون البث  
متى خرجوا من دائرة عملهم . لهو كثير وجد كثير تذوب بينهما

وقد يحلم المحزوم باليسر والبهى كذلك حلم الأرض بالصيف واليسر  
فلما تقضى اليسر يحدو لواعبى

وذكري طيور الصيف تهزج في صدرى

أجذت نصيباً من جدى الفجر وأقرأ

فهنأ آلامى وأرخت من صبرى

وأملت للعالم صباحاً مؤجلاً سيكشف عنها ظلمة الضيم والشر

فكل صباح روضه ومثاله ووعد به يحدو إلى الزمن النضر

نسر بشواه وإن لم تكن لنا وننشده فيما يكون من الدهر

عبر الزمن شكرى

٥٠٢٠

حياة شغافة في سبيل الحياة البهيمية ! وقد شمرت السينا بتعب  
الانسانية وأحست بضناها ، فأجبت أن تسقمها في جهادها ،  
وتربها ومضات تلعب وتنبو في جنبات « الشاشة البيضاء » .  
فهي تتشبث بالألحان والحسان ومظاهر الخيال القوي لا ينطبق  
على حقيقة ، لتفترج عن هذه الانسانية المنكوبة ، ولكنه دواء  
من ينقش الشوك بشوك ، ويثير الشمعة سيلها بذوبها . لأن  
مثل هذه الألحان المضطربة والتجود الساطع الخالية سرعان ما تفقد  
تأثيرها لأنها لم تصب هدفاً معلوماً ولم تطرق نهجاً مرسومًا

قد تكون السينا للأدب حليفة وقد تكون عدوة ، لأنها  
تريد أن تهضم « الأدب » وتبلغ زاد العقل لتحمله للنظر عن  
طريق الدين ، فهي مساعدة للأدب على خلق « المثل الأعلى » ،  
وباعثة في الأرواح مختلف الأشواق والحنين إلى ربوع « المثل  
الأعلى » ، ولكن من المخرجين من لا يبال بهذا المثل ولا يسمع  
صوته ، لأنه يريد أن يقبض على عيون الناس وجيوبهم ، وهذا  
هو الأديب التاجر ، ومنهم من يؤمن بهذا المثل ، ولكنه لا يجد  
الفرصة سانحة لثل هذا النوع . فهو يلقى الومضة إثر الومضة  
لأنه لا يقدر أن يتبرأ من كل ما يجيش في صدره ، ولكن أكثر  
بضاعته بضاعة يرضى بها رؤسائه . ورؤساؤه يعرضونها ليكسبوا  
بها جنوداً وتقوداً ، وهذا هو البائس للدارى ، ومنهم من بلغ  
إيمانه بالمثل الأعلى مبلغاً عظيماً ، يخرج من الروايات ما يؤمن به  
روحه ، ويخلق فيها شيئاً جديداً متديناً لأنه يعمل بقلبه لا بيده ،  
وهذا هو من يشفق على هذه الانسانية ، ويريد أن يحملها على  
أجنحة صوره وألحانه — ولو ساعة — إلى عالم المثل الأعلى ،  
يربها ما هنالك من نور طافح وأمل خائق . والجالس إلى أفلام  
هذا المخرج ليجد نفسه وقد انساخت عنه بنير شعوره منه إلى  
عالم شعري بعيد ، ما كان حامله إليه إلا فكرة سامية نقلها أشعة  
الدين إلى القلب فهم واستهم . . . إن مثل هذا المخرج يعطى  
أكثر مما يأخذ ، ويهيم من الناس قلوبهم قبل جيوبهم

مررت في هذه الخطرات وازاحمت في نفسى يوم وثت عيناى  
وخشع قلبى لهذا ( اللحن القوي لم يتم ) أراء للمرة الثانية ، وقد  
تجددت روى عني لتتأني في هذا اللحن ماشاء لها التناهي

— ٢ —

هذا اللحن أو هذا ( الفيلم ) ترجمة دقيقة لفصل من حياة  
« شوبر » الموسيقى النماوى القوي لم تنقص عليه الحياة أجلاه .



(١٧٩٧ - ١٨٢٨) لكنه فصل مشحون بكل ما يتمثله فكر عن فنّان . وسأعرض عليك هذا الفصل لتتلمس فيه هذا المثل الأعلى الذى نتج المخرج فى إظهاره . وإنما هو حياة فنّان يشق طريقه إلى المجد بأوتار قيثارته وأتامل «ميانه» البيضاء ، وتاريخ صراع هذا البقري للصادقات والأقدار التى انتصر عليها

نحن الآن فى منزل «رهون» نجتمع فيه البثلة الثمينة بجوار تمثال «نابوليون» والقيثارة الجريح بقرب الحنون فى قفصه «رهين المحبين» تتلم هذه الأشياء فتاة جميلة ، لامة السنين ، لا تقدر قيمة الأشياء إلا بحسب قاعة عندها

يطل على النافذة فتى تكاد تيمس عضلات وجهه التصلب ، على عينيه نظارتان ، عذ قيثارته التى طالما ملأت لياليه ألحاناً ، وأشبعت وحدته أماناً ، يقدمها بيد مرتشة ليرهنها ، يحد عن الرهن شيئاً فيراجع الفتاة الجالسة فتجيبه : هذا هو الثمن المحدود ، ولكن صوتاً يُجيب بها فى داخلها ، وإنما هو صوت الحنان على الفن الذى يسبح . . . فتريد الثمن وتدعو الله أن يذهل والدها عما زادت ، ليتسنى لصاحب القيثارة أن يفتنع بيد قيثارته . فيأخذ الثمن ويحميه بعد خروجه فيجده أكثر مما قالت ، فيعود بقلبه البسيط ، فيتم بالفتاة خارجة ويخبره أنها شنت معه إكراماً لفنه ، وإذ يسمع - شوپير - ألحاناً تآلى من بعيد فينطلق وراءها وهى تقودها إليه عاطفة غريبة ، فتسأله سر ابتهاجه بهذه الألحان ، فينبئها أنها ألحانه يرددها الصبايا الحائيات على الماء

- إن ألحانك ترددها «فينا» ؟

- أجل ! ترددها «فينا»

- أنت سعيد إذا يا شوپير ! ولا بد أنك غنى

- أما التنى فلا

- ولماذا تشاير إذن على التلحين ؟

- وما يكون عمل شوپير فى الوجود إذا انصرف عن التلحين ؟

- وهذه الأبيات الرقيقة التى أحسمها أمى من «جيتته» ؟

- لا ! . ومن هو جيتته ؟ لاني لم أسمع به قبل اليوم

- إنها من نظم صديقى «مولر»

- عجيب ، ألا تعرف «جيتته» ؟

وهنا يعودان على آثارهما فتنب إلى غرفتها وتقف له على طريقه بدويان (لجيتته) فيأخذ الكتاب ، ويلتهم ما فى الكتاب ويتلو ذاهلاً غافلاً ؟ - يحظر فى الشوارع وعيناه شاخصتان فى

الكتاب ، ويدخل قاعة الدرس وطلابه فى حرب يظنها بمضمهم على بعض ، سلاحها الأوراق والكتب وإهراق السداد ، وقد تسبب دواة قبته فتطير عن رأسه فلا يشمر : ولكنه لا يكاد يستقر فى مكانه حتى تهدأ الجلبة وتقر الحركة ، فيمجه هذا السكون ويشكر طلابه عليه ، فيبدأ درس الحساب ويكتب على اللوح الأسود بؤناً بمجدول الضرب ، ولكن هذه اليد تتحرك بغير وعى وتنتقل بغير إرادة . لأن القلب الموسيقى الذى أطل عليه

من وراء «جيتته» قد استولى عليه ، فيده تسطر وقلبه يا حنّ ، وما هى إلا لحظة حتى كان الطلاب من وراءه يرددون اللحن الذى

سطره ! وإذا بدرس الحساب يتحول إلى درس موسيقى ! فيسمع الرئيس الألحان شائعة فى الفتاة ، فيطرق غرفة «شوپير» فيجده لاهياً وطلابه بهذه الأغنية ، فيطالب إليه أن يهرج إلى مقابلته ، ولكن هذه المقابلة التى يتخيلها الناظر عثور جد وسوء

طالع ، قد هيأت لشوپير أن يقابل «مدير الأوبرا» فى «فينا»

المعجب ببراغته ، وهو ينتظره فى بهو الرئيس يحمل إليه دعوة إلى

منزل الكونتس «دى رنكى» ليمزف فى إحدى مهراتها

الموسيقية الحافلة التى تقيمها كل خميس وتجعل من منزلها ملق

أرباب الفن وأنصاره . وجدير بمثل هذه المقابلة أن تفتح أمام

«شوپير» مستقبلاً زاهياً مضموناً . ولكن أنى له أن يفشى هذه

الحفلة وليس عنده رداؤها . وقد طرق بيت الرهون فردة صاحبه

خائباً ، لأنه لا يملك ما يفك به رهينة ، ولكن الفتاة المأتمنة

بفنه أعادت إليه رداؤه وقيمته لتحقق له ظفروه فى هذه الليلة

كان بهو «الكونتس» يعج بالزائرين والزائرات ممن سما

بأرواحهم الفن والموسيقى ؟ ولجأة دخل «شوپير» منتفخ الرداء

ساطع الوجه ، يلمس غده بيده . ولكن نشوة السرور قد أذهلت

عن أن يترع (علامة الرهن) عن ظهر الرداء . فر وعيون القوم رانية

إليه ، تتفاسر عليه . فقبل يد الكونتس وحطم بخيط «العلامة»

تمثالاً عزيزاً علق به ، ولكن الكونتس لم ترد إلا ترحيباً به

جاء دور «شوپير» ومرت أنامله على «البيان» يمزف

أنشودة أبدعها لمثل هذه الساعة . وأودعها كل ما يجتاج فى

صدره من أماني وأشجان . فترى القوم سكارى وما هم بسكارى !

فتدبخل - خلال ذلك - الكونتيسة استركاز الفتاة الحسنة

وهى متأخرة ، فتأخذ مقعدها وتسنى بروحها المرحة إلى هذه

النفثات ، فتسأل فتاهها فيجيب همساً : انه «شوپير» فلا تفهم .

كتب عليها القدر ألا تخطط طريقها إلا بدماء القلب الجريح ،  
والشقاء الدائم ، فليمنش « شوير » على طريق المبقرية ...

— ٣ —

طلب أحد الأمراء الموسرين في « هونقريا » لى شوير أن  
يقدم عليه ليعلم فتاتيه الموسيقى ، فارتاح لهذا الطلب وأيقن أن  
الأمل طفق بيسم له ، فودع « ايمى » ووعدا بأن يكاتبها وسار  
وراء الأمل الجديد

دخل المنزل فاستقبله الوالد بابنتيه « ماريا و كارولين » . نظر  
شوير في وجه « كارولين » فأدرك أن هذا الوجه هو وجه  
الساخرة ، فأربد وجهه وتقلصت شفاته . ولكنه هدأ نفسه  
وكظم غيظه . وغادر الوالد المكان ، وعدت وراءه « ماريا »  
لأنها لا رغبة لها في الموسيقى ، وخلا له ولها المكان

قالت كارولين باسمه :

— أريد أن أعرفك ، لأنني جملتُ درس الموسيقى سبباً !

— أتودين أن تمخري منى أيضاً ؟

— لا يا شوير ! أريد منك أن تلتق هذا البيان

فدلمشوير من البيان وأغلقه بهدوء ، فضحكت كارولين وقالت :

— في إمكان الانسان أن يفلقه بدون ضوضاء ! قد شمرت

بخطيئتي المظلمى ، وانى لأرجو أن تصفح عني ...

— قد صفحتُ !

— إذا سبتداً غداً ...

وفي اليوم الثاني كان « شوير » يلقى على تعليمته قواعد في  
الموسيقى وفي الإيقاع ، ويبدى لها أن الإيقاع هو حياة الموسيقى  
وأصل توازن ألحانها ، ويمرض عليها مقطوعة صغيرة له تلوها  
بصوت عال ، فتتلو السطر الأول والثاني ثم يتعالى صوتها شادية  
مرغمة يثلاثى أمام نغمتها ونبراتهما عزف البيان ولحن القيثارة ،  
فيذهل شوير وأى ذهول ! ويتصاغر أمام جلال هذا اللحن  
المتناسق ! حتى انتهت من تلاوتها وجاءت على هذه الكلمة  
« وهى مقطوعة مهداة إلى الفتاة ايمى » فنارت في نفسها غيرة  
عميقة ، لأنها كانت تشعر بأن هذا الفنان يجب أن يكون لها  
وحدها ، فطلبت إليه أن يقدم لها في المرة الثانية من أغانيه  
ملا تشاركها فيها امرأة ! ولكن تلك الأغنية التي لم تكمل ...  
ولكن هذه الأغنية ظلت غير تامة لأنه لم يستطع أن يتمها

قالت له كارولين في إحدى خلواتها :

فيكتب على صفحة مراثيها بعد ذر « البودرة » أحرف  
« شوبرى » فلا تفهم ... وتنفخ على اسمه فيطير . ولكن  
أوضاع جلوس شوير على البيان تهيب بها إلى الضحك فتملك  
نفسها فلا تقدر ، فترسلها ضحكات عالية تنال من عزة « شوير »  
فيرمقها شزراً ، ويطلق البيان بصوت ، ويهب من مقدمه لا يملك  
نفسه المهتاجة ، فيدركه « مدير الأوبرا » فيجيبه بلاء وأنفقة :

— أنا لست ممن يمزفون وهم يضحكون !

وانطلق وقد ترك في المنزل ، ذوبمة ، وصاحبة المنزل تقول  
للفتاة « ومما يؤسف له أن المقطوعة لا تبحث على الضحك »

تلك عزة الفن دعتة فأجلب ، وهو يقدر أنه قاتل مستقبله ،  
وداع البؤس إلى ساحته ، ولكن ما همه مستقبله وبغناه إذا كان  
الفن يحيا في منزله سهاناً ويرضى بهوانه ؟ أليس هذا المثل يضرب  
لكل فنان منى العزة ويمث فيه الكبرياء ؟

خرج « شوير » دأى القلب ، ولكنه عنيف الثورة شديد  
النقمة على هذه العادة التي حالت بينه وبين أعام لحنه ... آب  
إلى غرفته بأمانيه المهزومة كالتقاء التكرار يمود بقول جيبه  
وأوسمته القديمة ، فالتى غادته الأولى في انتظاره ، وهى لم تكن  
لتحب أن تراه مقطباً طاباً ، جلس إلى البيان بماود ذلك اللحن  
الطائر ، فلا يكاد يشرف على المهوى القى تالت فيه ضحكة  
الساخرة ، حتى يتمثل أن ضحكتها تملأ جو غرفته ، فيهب منهوراً  
يسد أذنيه ، وكأن يداً سحرية تحول بينه وبين الانتقال إلى  
المهوى الثاني . وبعد محاولة غير مجدية غادر البيان والبيان يضحك ،  
وجدران الغرفة تضحك ، وهى في قرارة ضميره تضحك ...  
كلفه هذا الحادث كثيراً ، فقد أخرجه من المدرسة ،  
وحرموه الخبز القى يأكله ، فألحف الدائون في الطلب ، ولج  
الأصدقاء في الهرب . وشغفت له « فتاة ايمى » عند « مدير  
الأوبرا » ولكن هذا قد قد قلبه من جاد !

— كن لطيفاً معه

— أنا لستُ بلطيف

— لا تهجر شوير !

— إنه يستحق

— ولكن اذكر أن « فينا » تترنم بأغانيه ، فإن أغانيك ؟  
يمثل هذه البساطة وهذه الحدة كانت تجادل « ايمى »  
مدير الأوبرا لاستمائه إلى معاشدة « شوير » ، ولكن المبقرية

فهرعت إليه بدون إرادة ولا مزعة . . . . . وفي لحظة حضورها وردت عليه بطاقة من القصر تأمره بالحضور العاجل . فما قابل « إيمى » إلا ليودعها وتودعه

— « إيمى » اكوني سعيدة إننى مسافر ، سوف أبث إليك بأنبأى انطلق « شوير » ولا يعرف ما كُتب له . فشاهد في القرية حالة غير معهودة ؛ أجراس ترق ، وثياب بيضاء ترف . وأعلن تعالى : إنه عرس « كارولين » أجثت « شوير » لتودع « كارولين » لم يكن صاحب البطاقة للرسلة إلا « ماريا » أخت « كارولين » دعت « شوير » ليحضر حفلة زفاف أختها . وليصنع عنها لأنها كُفرت عن وزرها بالبكاء الطويل ، ولكنها أذعنت لوالدها مضطرة غير مختارة . . . . . وقد وقف « شوير » بين الجوع يشهد ضرورها أمامه

وقفت « ماريا » فجأة بين جوع الممتئين في بهو القصر ، تملن أن « شوير » يريد أن يهين « الروسين » فدخل « شوير » وقد رنت العيون إليه ، ومشى حتى بلغ موقف « كارولين » وقال لها : « يا سيدتى ! هل تفضلين بأن أقدم تمة اللحن الذى لم يتم تقديمه لك في يوم عرسك ؟ » واختلف إلى البيان يردد اللحن الأول « و « كارولين » بين الجوع تنفض طورا وتنتج نارة تحت تأثير الذكريات المافية حولها . تفيض على قلبها صهارة ، وعلى عجزها تطفح دمعان . وما كاد ينتقل « شوير » إلى تمة للقطع ، وقد اختلفت التهمة ، وامتزج الجلال بالجمال ، ونطقت العاطفة ، وقلب القلب على الأمل ، حتى سقطت « كارولين » مستخرطة في البكاء في الموقع الذى طلمت « شوير » بضحكها . قانفض الجمع وأخذوا المريضة . و « شوير » مُسمّر في مكانه لا يتحرك . وبعد برهة عاد إليه زوجها يقول له : « إنها تحسنت قليلا وتود أن تقابلك » . طادت « كارولين » ووجهها مقنغ بكل ما رسمت على وجهها الحياة منذ طفولتها حتى الساعة . فالأمال بجأورة للآلام . واليأس مؤتلف مع القنوط : إنه وجه حياة كاملة — « شوير » ! هذه مقطوعتك أرسلها إلى

— ولله ! إنها مكتوبة للجميع

— عش سعيداً يا « شوير » ! ولا تحزن . إنك تملك شيئاً هو اسمي من كل شيء . . . . . هو الفن الذى يعطيك الخلود طفرت من عينها دمة ، وانصرفت رأكفة لأنها لا تستطيع أن تقف أمام هذه السحابة الجارفة التى يسوقها فن عميق سام جارف

— سمعت بأنك تختلط بمانا في المزرعة في جلسات طربهم وائى لأرباً بأستاذى أن ينشئ هذه التجماع الساقطة

ولكن « شوير » كان يستوحى الفن حينما كان ، ويستند أن الفن يسكن في الأكواخ ، وفي الجماعات المنحطة ، وفي التراب . وظل ينشأها كعادته ، حتى جأته يوماً في مجلس لؤلؤ « النجربين » الذين اتخذوا الحياة عزفاً وطرباً ، وقذفوا بهموسها من وراء ظهورهم . جأته وهي ترتدى رداء « النجريات » وعلى وجهها تطفو بهجتهم وسرورهم . فرقصت حتى بات المكان كله لا يتسع إلا لقدميها . رقصت حتى أعيت ، ودنت منه تشدد مقطوعة رقيقة تدعو إلى الاستسلام الذى تولد النبطة الكشيبة :

« قل انك تحبني ! قل بدون انقطاع

قل انك تحبني قليلاً . . .

كلماتك هذه تبث النبطة في نفسى ، والراحة في قلبي عيناك هما السبيل الجميل حيث يتوارى حلمي

قل انك تحبني ، واكذب إذا وجب الكذب . . .

قل ذلك . . . لأنك — إذا سكت — تسلمني إلى الموت » وجدير بعن هذه الأغنية الرقيقة أن تذهلها عن نفسها ، وأن تنسيب أستاذها عن وعيه . فبلم يدها ، والزوبمة لا يزال هزيعها بين الأعمان . فقادرت المسكان رأكفة بين المروج الذهبية التى هى قبلة الشاق ، ومرجى أصحاب الوحدة ، فتبعتها ليرجع إليها نقابها — قى « كارولين » . . . . . لقد نسيت تقابك : ما عسى يقولون في القصر اذا عرفوا ؟ لماذا جئت ؟

— ألا تعرف أنت حتى الآن . . . عانقنى يا « شوير » !

وهنا منبهما قبلة عميقة لم تشهداها إلا السماء . ولم نسمع حمما إلا الأزهار والأعشاب . . . . . أذهلتها عن قلبها الذى سقط على الأرض قادت بنير نقاب

— ٤ —

أدرك الأمر والدها ، ورأى في فتاته ميلاً إليه قد ينمى بالزواج . فأحب أن يحول بينهما ، فصرف « شوير » صرفاً أدياً ليمود إلى عزله الأولى . و « شوير » في كل غيبته لم يذكر « إيمى » بكتاب . لأن كفة « كارولين » رجحت على كفتها . فلم تستقبله « إيمى » ولكنها سمعت أنه يكاد يمدو مجنوناً . وهو في كل يوم يرتقب كتاباً من « كارولين » وما قد دب اليأس في نفسه بمد انتظار ثلاثة أشهر ، وما قد أشفقت « إيمى » عليه

ولدى ! إن جبينك ليمطع نوراً . . .  
شكراً لك أيها الأم الآسية  
أنتِ التي أتقنتِ ولدى  
سلام عليك يا مريم . . .

\*\*\*

هي مقطوعة تناجى بها أم تكلّى « مريم » وتبنيها شكواها .  
وقد برح بها الحزن وأمضها الألم . والآن تلتق قلبها المفتوح  
وتطوى ألها المنشور ، ونجس راحة نفسية ، تصافح الألم فلا  
تراه شائكاً ، بل هي الآن أوسع صدرأ للألم لأنه لا يعانى على  
إزعاجها . وقد تكون هذه الفكرة فكرة فنان شاعر يناجى مثله  
الأعلى الذى وجد فيه أمله الأسمى . فهو يحمل نفسه المجرحة  
يريد أن يلقى لها منزلاً تنزل فيه ، فيجد الأبواب كلها مسدودة ،  
وما هو ذا الآن على طريق المثل الأعلى الذى سلّحه عن الوجود  
قد تلاشى الحب في « شوير » وانطفأت جفونه للثنية ،  
وابتملت ذكرياته المذبة . لا لأن شوير يحب كاذب يسهل عليه  
الاتصال والافتصال . ولكن شوير قلبه قلب فنان ، وقلب الفنان  
كبير ، قد ارتسمت - على قلبه - كل أشواقه الماضية ، وآلامه  
الغائرة وسرت معه لتؤلف « ذلك للمثل الأعلى » بفنه الذى  
- كما قالت كارولين - إنه وحده يعطيه الخلود  
وقد يتساءل القارىء : أما وقد عاد شوير خائباً ، فكيف  
التفت به « ليمى » فتانته الأولى ؟ بقيت نقطة غامضة لم يسألها  
المخرج ليرك المثل الأعلى متصراً على كل شيء .

- ٥ -

قد لا تروق هذه النتيجة للبعض ، لأنهم يتلقونها بقولهم ،  
وعقولهم لا يرضيها شيء من غذاء الماطفة ، ولا تقبل إلا بما فيه  
غذاء لمنطقها ، ولا ينفذ منطقها إلا عالم الواقع اللئوس . . .  
ولكن قلّهم أن هذا العالم الواقعى قد بدأت تطفو عليه عوامل  
الاضمحلال لأنهم قتلوا فيه كل مثل ، سواء ذلك المثل الذى  
يوحيه الفن أو يوحيه الشر

لا يحمل الناس من هذه الوعدة التى نزلوا فيها وهذه المادية  
التي استغرقوا فيها إلا الايمان بالمثل الأعلى فهل نرى - السينا -  
تقف يوماً أمام الفن والشر جنباً لجنب ، لتؤدى ماعياها من  
التبشير بهذا « المثل الأعلى » ؟

جنيل فنراوى

عاد « شوير » إلى لحنه ، فأبقى ما عرّفه ، ومنزق تمة  
الحزن ، وكتب حول ما مزقه : « ليكون دليلاً على حبي للذى  
لا ينتهى ، جعلته لحناً لا ينتهى » . وخرج « شوير » يسلك  
الطريق الذى أبصر أحلامه الوائبة ، والآن يصير نفسه للكثبة ؛  
وما زال يقف به السير حتى وقف على عمّال « مريم المنفراء »  
وهناك غازج كل ما فيه من عوامل متضادة ، من يأس ورجاء .  
من غبطة وكآبة ، وفن ومثل أسمى ، لتؤلف هذه العوامل  
« أنشودة السلام اللائكي » التى خلّدت شوير في عالم الموسيقى . .

« السلام المزمعي »<sup>(١)</sup>

سلام عليك يا مريم ! يا ملكة السماء  
إليك ترتفع صلاتي ، وأرى المطف في عينيك  
وفيك أيها الطاهرة أضع رجائي

\*\*\*

ولدى كان مخفف يؤسى ، ومعمزى فاقنى  
إنه تالم ، وا أسفاه ، إنه قضى  
افهمى دموعى أنت ، يا من كنت أما  
وأعبدى إلى طفلي البائس . . .

\*\*\*

سلام عليك يا مريم ! إن ولدى جميل  
كنت به مختالة محبة . . .  
باركى سريره الصغير . . .  
إنه كان خيرى ، بل خيرى الوحيد

\*\*\*

إذا أصابى الله في غضبه  
فاعطى أنت على الصغير البرى  
واستجيبى لى . . . لاني أم  
تطلب الموت في سبيل ولها

\*\*\*

سلام عليك يا مريم  
أرى طفلي ولدت ثانية بالصلاة  
كأنه الزهرة الماطرة ، والنحة الجيلة ،  
والجمال الجذاب ، والسر المقدس ،  
انظري لى ! أنت يا موضع أملى !

هي أغنية - كما يتضح - تناجى بها أم تكلّى « مريم المنفراء »  
وهي مبهورة بين الألمان الكاثية

## ٩ - شاعرنا العالمي

## أبو العتاهية

## للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

زهده وتكلم بالشر : كان أبو العتاهية مع زهده لا يترك التكسب

بشعره ، وإذا رجعتنا إلى حاله في ذلك وجدناه لم ينقطع عن بيع المباس وقبول جوائزهم من عهد المهدي الذي ابتداء اتصاله بهم فيه ، إلى عهد المأمون الذي انتهت فيه حياته ، وقد طعن عليه بذلك في زهده كثير من منافسيه في الشعر وغيره ، وحملوا ذلك منه على الرياء والمخادعة ، وقد أشد المأمون بيت أبي العتاهية يخاطب سلم الخاسر :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرس أعناق الرجال  
فقال للمأمون : إن الحرس لفسد الدين واللزوة ، والله ما عرفت من رجل قط حرصاً ولا شرفاً فرأيت فيه مصطنعاً .

فبلغ ذلك سلماً فقال : ويلي على الخنث الجرار الزنديق ، جمع الأموال وكثرها ، وعباً اليدور في بيته ، ثم زهد مرة آتة وثقافتاً ، فأخذ يهتف بي إذا تصديت للطلب . واجتمع أبو العتاهية مع جماعة عند قسم بن جعفر بن سليمان فأخذ ينشد في الزهد ، فطلب قثم الجمار فأحضر اليه وأبو العتاهية ينشده : فأنشأ الجمار يقول :

ما أقبح الزهد من واعظ زهد الناس ولا يزهد  
لو كانت في زهده صادقاً أنحى وأسي بيته السجد  
يخاف أن تنفد أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد  
والرزق مقسوم على من ترى يتاله الأبيض والأسود

فالتفت أبو العتاهية إليه فقال من هذا ؟ قالوا الجمار ، وهو

ابن أخت سلم الخاسر ، اقتص نخاله منك ، فأقبل عليه وقال له :

يا ابن أخي إنني لم أذهب حيث ظننت ولا ظن خالك ولا أردت أن

أهتف به ، وإنما خاطبته كما يخاطب الرجل سديقه ، فله يقفر

لكما ، ثم قام

وحديث جبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه قال : كنت

في مجلس خزعة جري حديث ما يسفك من الدماء ، فقال والله

مالنا عند الله عذر ولا حجة إلا رجاء عفو ومفقرته ، ولولا عن

السلطان وكراهة القلة ، وأن أمير بعد الرأسة سوقاً وقابلاً بعد

ما كنت متبوعاً ، ما كان في الأرض أزهى ولا أعبد مني ، فإذا

هو بالحاجب قد دخل عليه برقة من أبي العتاهية فيها مكتوب :

أراك امرءاً ترجو من الله عفو وأنت على ما لا يجب مقيم

نذل على التقوى وأنت مقصر أيا من يداوى الناس وهو سقيم

وإن امرءاً لم يله اليوم عن غد تخوف ما يأتي به الحكيم

وإن امرءاً لم يحمل البر كنزه وإن كانت الدنيا له لديم

فغضب خزيمة وقال : والله ما للعروف عند هذا للمتوه

الملحف من كنوز البر فيرغب فيه حر . فقيل له وكيف ذاك ؟

فقال لأنه من الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في

سبيل الله

وقد كان أبو العتاهية يجمع إلى أخذه بهذا التكسب القهاب

في البخل إلى حد يمكن منه خصومه فشوهوا به زهده أيضاً ،

وله في بحله نوادر كثيرة ، وأخبار مأثورة ، قال ثعلبة بن أشرس

أنشدني أبو العتاهية :

إذا الرء لم يمتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو ماله

ألا إنما مالى الذي أنا متفق وليس لي المال الذي أنا قاركه

إذا كنت ذامال فبادر به الذي يحق ولا استهلكته سها لك

فقلت من أين قضيت بهذا ؟ فقال من قول رسول الله صلى

الله عليه وسلم : إنما لك من مالك ما أكلت فأنتيت ، أو لبست

فألبيت ، أو تصدقت فأمضيت . فقلت له أتؤمن بأن هذا قول

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الحق ؟ قال نعم ، قلت فلم

تجيس عندك شيئاً وعشرين بكرة في دارك ولا تأكل منها ولا

تشرب ولا تركي ، ولا تقدها ذخراً اليوم قورك وقافتك ؟ فقال

يا أبا مني والله إن ما قلت لهو الحق ، ولكنني أخاف الفقر والحاجة

إلى الناس . فقلت وبم تريد حال من افتقر على خالك وأنت دائم

الحرص ، دائم الجمع ، شحيح على نفسك ، لا تشتري اللحم إلا

من عيد إلى عيد . فترك جواب كلامي كله ، ثم قال لي والله لقد

اشتريت في يوم عاشوراء لحماً وتوابله وما يقبمه بخمسة دراهم ،

فلما قال لي هذا القول أنحكى حتى أذهلني من جوابه ومسايقته ،

فأمسكت منه وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام

وحديث محمد بن عيسى الخزرجي وكان جارا أبي العتاهية قال :

كان لأبي العتاهية جبار يلتقط النوى ، ضعيف منى الحال ، متجمل

عليه ثياب ، فكان يمر بأبي العتاهية طرفي النهار ، فيقول أبو

العتاهية لهم أغنوه عما هو بسبيله ، شيخ ضعيف منى الحال عليه



قال : مر القاسم بن الرشيد في موكب عظيم ، وكان من أتبيه الناس ، وأبو التماهية جالس مع قوم على ظهر الطريق ، فقام أبو التماهية حين رآه إعظاماً له ، فلم يزل ينادي حتى جاز فأجازه ولم يلتفت إليه ، فقال أبو التماهية :

بقية ابن آدم من جيله كان رجا الموت لا تطحنه  
فسمع بعض من كان في موكبه ذلك فأخبر به القاسم ، فمضت إلى أبي التماهية وضربة مائة مقرعة ، وقال له : يا ابن القاطلة أنعش بي في مثل ذلك الموضع ؟ وحسبه في داره ، فمس أبو التماهية إلى زبيدة بنت جعفر وكانت توجه له هذه الآيات :

حتى متى ذوالتيه في تيهه أصلحه الله وعاقبه  
بقية أهل التيه من جهلهم وهم يعنون وإن تاهوا  
من طلب العز ليق به فان عز المرء تقواه  
لم يتصم بالله من خلقه من ليس يرجوه ونجاشه

وكتب إليها بحاله وسيق حبسه ، وكانت ماثلة إليه فرقت له ، وأخبرت الرشيد بأمره وكنيته فيه ، فأحضره وكساه ووسله ، ولم يرش الرشيد عن القاسم حتى برأها التماهية وأدناه واعتذر إليه وحدث محمد بن عيسى قال : كنت جالسا مع أبي التماهية إذ مر بنا حميد الطوسي في موكبه ، وبين يديه الفرسان والرجالة ، وكان يقرب أبي التماهية سوادي على أتان ، فضربوا وجه الأتان ونحشوه عن الطريق ، وحميد وأضع طرفه على معرفة فرسه ، والناس ينظرون إليه ينجبون منه وهو لا يلتفت تيهاً ، فقال أبو التماهية :

لموت أبناء يهم ما شئت من صلف وتيه  
وكانني بالموت قد دارت رحاه على بنيه

فلما جاز حميد مع صاحب الأتان قال :

ما أذل المقل في عين النسا من لاقلاه وما أقاء  
إنما تنظر السيون من النسا من إلى من ترجوه أو نخشاه  
وقد كان أبو التماهية في آخر أمره يحاول جهده أن يجعل جوائز اللوك وغيرهم إليه في نظير هدايا يتقدم بها إليهم ، كما كان يفعل ذلك مع الأمين والأمين فيها ذكرنا في ترجمته ، وهو في ذلك يشعر بسمو منزلته إلى منزلهم ، ويرفع عن ذلك التكبس الذي كان يأخذه به في أول أمره ، وإن كان على تلك الطريقة التي لم يكن لها أثر مريب في نفسه

وأما بخلة فتعتقد أنه لم يصل فيه إلى ذلك الحد الذي يؤثر فيه ما أثر عنه من تلك النوادر وغيرها ، وإنما ذلك من اختلاق

نياب متجمل ، ألم أعنه ، اصنع له ، برك فيه ، بقي على هذا إلى أن مات الشيخ نحواً من عشرين سنة ، فقلت له يوماً يا أبا إسحاق إنني أدركت تكسر العطاء لهذا الشيخ ، وترغم أنه فقير مقل ، فلم لا تتصدق عليه بشيء ؟ فقال أخشى أن يستاد الصدقة ، والصدقة آخر كسب العبد ، وإن في العطاء خيراً كثيراً

وقال علي بن مهدي حدثني الحسين بن أبي السري قال : قيل لأبي التماهية مالك تبخل بما رزقك الله ؟ قال والله ما تبخل بما رزقني الله قط ، قيل له وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يحصى ؟ قال ليس ذلك رزقي ، ولو كان رزقي لأنفقت

وقال محمد بن عيسى قلت لأبي التماهية أترك مالك ؟ فقال والله ما أفنق على عيالي إلا من زكاة مالي ، فقلت سبحان الله ، إنما ينبغي أن تخرج زكاة مالك إلى الفقراء والمساكين ، فقال لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقر منهم

فأما تكسب أبي التماهية بالشعر فلا شيء فيه عندي مع أخذه بذلك الزهد ، لأن الزهد في الإسلام لا يمنع صاحبه من الأخذ بالأسباب والسعي في الحصول على الرزق ، والتكسب بالشعر سبب من تلك الأسباب ، والشعر فن من الفنون التي لا غنى للدولة منها ، فيجب أن يأخذ حظه من الأموال التي تجبي فيها ، ويجب على أرباب الدولة أن يمسحوا أيديهم بالطء لرجاله ، ليتفروا على إجادته ، ويتضافروا في النهوض به ، وليس على الشعراء من حرج إذا لم يصل نصيبهم من ذلك إليهم أن يتلفوا في الوصول إليه بمدح اللوك والوزراء ، وكذا غيرهم ممن في أيديهم تلك الأموال ، وإنما يذم التكسب بالشعر إذا بالغ صاحبه في الإلحاح به ، وجعله كل غايته من الشعر ، فعمله ذلك على الاتواء في سبيله ، واتخاذ الشعر أداة شر بين الناس ، يقلب الحقائق بينهم ، ويجعل في سبيل المال الباطل حقاً والحق باطلاً ، والظلم عدلاً والعدل ظلماً ؛ وقد تكسب الشعراء بشعرهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له شعراء يمدحونه وينصرون دعوته ، ويناقضون عنه أعداءه ، ويردون عنه هجاءهم بالحق إذا هجوه بالباطل

ولم يكن شاعراً أبو التماهية بحيث يصل به التكسب بالشعر إلى هذا الحد ، وقد مضى لنا في ترجمته ما يزيد ذلك له ، وكم له من مواقف مشهودة مع ملوك عصره وأمهانه ، لم تنسه فيها جوائزهم أن يفكر عليهم ما يستحق الإنكار منهم ، أو يضرب نفسه إذا رأى منهم أقل تهاون به . حدث الحسين بن أبي السري

في اللغة والأدب

## ٢ - المثنيات

في التاريخ والجغرافيا والفلك

للأستاذ محمد شفيق

(الأخشبان) هما جبلا مكة اللصقان بها : أبو قبيس والأحر ، وهو الجبل الشريف وجهه على قميقان ، والأخشب في اللغة هو لجبل الخشن العظيم ، ويقال هو الذي لا يرتقى علوه . وهما جبلا منى . وقيل هما الأخشب الشرق والأخشب الغرب ، فالشرق أبو قبيس والغرب جبل الخبط من وادي إبراهيم . قال أبو مبيد : وأخشبا المدينة حرثاها

(البونان) بفتح الموحدة وسكون الواو : موضعان باليمن البون الأعلى والبون الأسفل ، وهما متصلان من أعمال صنعاء ، ويقال إن فيهما البئر المطلة والقصر الشديد المذكوران في القرآن الكريم (الخمراتان) نهران من كواكب الأسد ، وقيل كوكبان بينهما قدر سوط وهما كتفا الأسد ، وقيل ميا بذلك لتفوذهما إلى جوف الأسد

(الزبانيان) هما كوكبان نيران ، وهما قرنا المقرب ينزلها القمر ، وهما مقترعان بينهما أكثر من قامة الرجل في رأي العين ، ويسميهما أهل الشام يدى المقرب ، ويقال لهما زباني الصيف ، لأن سقوطهما في زمن تحرك الحر

(الشراطان) نهران من الخلل وهما قرناه

(الشرقان) بالواو الأخضر من دمشق وهما الجانيان المتقابلان شرف أعلى وهو الشمال وأدنى وهو القبلى ، وبينهما الوادى والنهران بردى وانياس . ويقال : فلان حاز الشرفين أى شرف الأب والأم

(التوطتان) بدمشق معروفتان قبلية وديالية

(الصفصاقتان) معروفتان عند الممشقين ، وهما : شجرتا صفصاف بالوادي التحتاني ممدتان للتفرع ذكرهما الشعراء المتأخرون في أشعارهم فمنهم الأمير المنجكي حيث قال :

خصومه ومنافسيه عليه ، ليشوهوا منه تلك الصيحة البمدوية في الزهد ، ويظهروه في مظهر من يقول بما لا يفعل ، فلا يتأثر الناس بدعوته ، ولا ينظرون إلى أقواله ، ولا شك أنه يشفع لأبي الساهية في ضنه بحاله أنه كان رجلاً شاعراً يجمع ماله من أمدى للوك والمظاء ، وينقل في ذلك ماء وجهه على ما كانت عليه نفسه من عزة ورفعة ، فإذا ضن به بعد هذا فاعلم بحمله على ذلك أن يكون دائماً في غير حاجة ملحة إلى من يحاول أن يشتري شمره بها ، فيسير فيه كما يشتهي هو لا كما يشتهي غيره ، وقد كان أبو الساهية دائماً مهدداً من أجل هذا بالحرمان ، وعرضة للتضييق والسجن واستباحة المال ، فهو يجمع من ذلك ما يجمع ليحمله في وقت حرمانه ، ويضن به على من لا يجده في ذلك الوقت إلا عدواً له أو شامكاً فيه ، وقد كان يبعد من الناس ما ساء به ظنه فيهم ، وآثر به العزلة عنهم ، وكان له فيهم مذهب غريب يقضى بتبجيلهم كلهم ، فهو يقارضهم بخلاً يبخل ، ويضن عليهم ضناً بضن ، قال مخارق : لقيت أبا الساهية على الجسر ، فقلت له : يا أبا اسحاق أنت تدنى قولك في تبجيل الناس كلهم ؟ فضحك وقال لي : ها هنا ؟ قلت : نعم ، فأندى :

إن كنت متخذاً خليلاً فتنق وانقذ الخليل  
من لم يكن لك منصفاً في الود قابض به بدبلا  
ولربما سئل البخير لشيء لا يسوى فتبلا  
فيقول لا أجد السبي لى إليه بكره أن ينبل  
فلذاك لا جعل الآل له إلى خير سيلا  
فأضرب بطرفك حيث شئت فلف ترى إلا بجيلا

فقلت له : أفرطت يا أبا اسحاق ، فقال : فديتك فأكذبني بجواد واحد ؟ فأجبت موافقته ، فالتفت عينا وشالاً ، ثم قلت : ما أجد ؟ فقبل بين عيني وقال : فديتك يا بني ، لقد دقت حتى كدت تسرف

وهكذا مضى أبو الساهية عظيماً لم يزر به بخله ولا نكسبه بشمره ، كما أوزى ذلك بغيره ، ولو أن ذلك أوزى به كما زعمه خصومه لما كان لنصور بن المهدي أن يعد إليه يده لزوجته إحدى ابنتيه ، وقد كان لأبي الساهية بنتان : أحدهما « لله » والأخرى « بالله » ، فخطب منصور منه « لله » فلم يزوجها ، وقال : إنما طلبها لأنها بنت أبي الساهية ، وكأني به قد ملها فلم يكن لي إلى الاتصاف منه سبيل ، وما كنت لأزوجها إلا بأمع خرف وجوار ؛ ولسكني اختاره لها موسراً ما عبر المتجمل الصبيدي

واحد أو كثيرين متفقين في الحقائق في جواب ما هو ، والاضافي  
ما هي يقال عليها وعلى غيرها الجنس قولاً أولياً أي بلا واسطة  
كالإنسان بالقياس إلى الحيوان

#### الثنائيات المتفقة بالتفسير والقرارات

(التجدان) هما الضلالة والهدى ، في قوله تعالى (وهديناه  
النجدين)

(مدهامتان) هما في القرآن بمعنى سوداوين من شدة الخمرة  
من الرى لأن العرب تسمى كل أخضر أسود

(الصدقان) هما في الآية الكرعة جيلان متلاصقان ، من  
المصادفة أي القابلة ، وقيل من الصدف وهو الميل لأن كل واحد  
منهما منزل عن الآخر

(السدان) هما في قوله جل وعز (حتى إذا بلغ السدين)  
الجيلان البني بينهما السدان وهما جيلا أرمنيا وأذربيجان ،  
وقيل هما جيلان متيعان في آخر بلاد الترك

(الابنان) هما في مصطلح أهل القراءات ابن كثير وابن عامر  
(الأبوان) هما أبو عمرو وأبو بكر بن عاصم القارئان  
المشهوران

(الاخوان) هما حمزة والكسائي . (الحرميان) هما ابن  
كثير وقافع من القراء السبعة

#### الثنائيات المتفقة بالحدس الشريف

(التدليسان) أحدهما تدليس الاستناد وهو أن يروي عن  
لقيه ولم يسمع منه موهماً أنه لقيه أو سمع منه ، والآخر تدليس  
الشيوخ وهو أن يروي حديثاً عن شيخ سمعه منه فيضيه أو  
يكتنيه ويصفه بما لم يصف به كيلاً يعرف

(الشيخان) هما عند الإطلاق أبو بكر وعمر ، وعند المحدثين  
يراد بهما البخاري ومسلم

(الديهقان) في حديث (أنا ابن الديهقين) اسميل أو  
إسحق وعبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم . والمرجح أن  
الديهق هو اسميل ، وأما القول بأنه إسحق فمردود بأكثر من  
عشرين وجهاً (١)

(١) بطلمي في (جنى الجنين) مفصل القول في ذلك بخرير دقيق  
عن ابن تيمية وغيره من الأئمة

وبالصفصافتين مقام أنس عليل نسيمه يرى السقاما  
إذا قتت حمأه سكرنا بما على ولم نشرب مداما  
(المزيتان) قربتان بمصر في ناحية الشرقية منسوبتان  
إلى العزيز بن للمز

(المسكران) محمد بن علي والحسين بن رشيق ، منسوبان  
إلى عسكر : علة بمصر ، وأبو الحسن علي بن محمد . . . بن جعفر  
وولده الحسن منسوبان إلى عسكر المتصم وهي مدينة سر من  
رأى (سامرا) ، والمسكران الأديبان أبو أحمد الحسن بن عبد الله  
المسكري وتلقبه أبو هلال الحسن بن عبد الله منسوبان إلى  
عسكر مكرم

(الفرقدان) نجمان منيران في بنات نعش يضرب الثل بهما  
في طول الصحبة في التساوي والتشاكل . قال البحترى :

كالفرقدين إذا تاملت ناظر لم يعد موضع فرقدهن فرقه  
(القرافتان) القرافة الصغرى والقرافة الكبرى ، فهما  
مقبرتا مصر ، وكنتا من قبل خطين لقبيلة من اليمن ثم من المافر  
ابن يعفر يقال لهم بنو قرافة

(الحلفان) نجمان بطلان قبل سهيل فيظن الناظر لكل منهما  
أنه سهيل ، ويحلف أنه سهيل ويحلف آخر أنه ليس به

#### ما يتعلق بالمنطق من الثنائيات

(الجنسان) الجنس القريب والجنس البعيد

(الحدان) الحد التام والحد الناقص

(الضدان) صفتان وجوديتان يتماثلان في موضع واحد  
يستحيل اجتماعهما كالسواد واليباض

(التقابلان) بالعدم واللكة أوران أحدهما وجودي والآخر  
عدم ذلك الوجودي لا مطلقاً بل من موضع مقابل له كالبصر  
والعمى ، والعلم والجهل ، فإن العمى عدم البصر عما من شأنه  
البصر ، والجهل عدم العلم عما من شأنه العلم

(التقابلان) بالإيجاب والسلب هما أوران أحدهما عدم الآخر  
مطلقاً كالفرسية واللافروسية

(الضادان) هما التقابلان الوجوديان اللذان يعقل كل منهما  
بالقياس إلى الآخر كالأبوة والبنوة

(التوكان) الحقيقي والاضافي : فالحقيق الكلي المقول على

المشتعلة وكلما انتقص تتبعها الحرارة الفريزية في ذلك . . . الخ  
ما ذكره المحي في « جنى الجنتين »

( الأديان ) أدب الفريزة ، وهو الأصل ، وأدب الرواية وهو  
الفرع ، ولا يتفرع شيء إلا بنمو أصله ، ولا ينمو الأصل إلا  
بإتصال المادة ، وقيل الأديان أدب النفس وأدب العرش

( الامامان ) هما في اصطلاح أهل التصوف : الشخصان  
الذين أحدهما عين العرش أي القطب وتظيره في الملكوت وهو  
مرآة ما يتوجه في المركز القطبي إلى العالم الروحاني من الامدادات  
التي هي مادة الوجود والبقاء ، وهذا الامام مرآة ، والآخر عن  
يساره وتظيره في الملك وهو مرآة ما يتوجه منه إلى المحسوسات  
من المادة الحيوانية وهذا مرآة وعمله أعلى من صاحبه وهو يختلف  
القطب إماماً إذا مات

( الفناءان ) أحدهما سقوط الأوصاف النعمية ، كما أن البقاء  
وجود الأوصاف الحمودة وهو بكثرة الرضاة ، والثاني علم  
الاحساس بعالم الملك والملكوت ، وهو بالاستتراق في مظنة  
الباري ومشاهدة الحق

( السورتان ) النورية والجسمية ، وهما مجلهما الحيولي ، وهي  
جوهر في الجسم قابل لما يمرض له من الاتصال والانفصال  
ما يتصل بالثقة والوصول من الثنيات

( البيضان ) هما البائع والشري ، وفي الحديث : « البيضان  
بأخبار عالم بقرعة »<sup>(١)</sup>

( الفهومان ) مفهوم المواقفة ومفهوم الخالفة : فالأول ما يفهم  
من الكلام بطريق الطائفة ، والثاني ما يفهم من الكلام بطريق  
الالتزام ، وقيل هو أن ثبت في السكوت على خلاف ما يثبت  
في التطوق

( الخليطان ) هما الشريكان يخلط أحدهما ماله بمال الآخر ،  
وفي الحديث : « وما كان من خليطين كأنهما يتراجعا بينهما  
بالسوة »<sup>(٢)</sup>

( البيهقان ) حنفي وشافعي : فالحنفي إسماعيل بن الحسن ،  
والشافعي أحمد بن الحسين

( يتبع ) محمد شفيق

(١) في « جنى الجنتين » وكتب الثقة تفصيل آراء الفقهاء في معنى الحديث

(٢) شرح هذا الحديث في « جنى الجنتين » في صفة كبيرة

( المودان ) منبر النبي صلى الله عليه وسلم وعصاه ، وقد ورد  
ذكر المودين في الحديث وفسر بذلك ، وقال ثمر في قول  
الفردق :

ومن ورث المودين وانلخاتم أقي

له الملك والأرض القضاء رحيها  
وكنى بالمودين عن الشاهدين ، قال شرح : القضاء حجة  
فادفع الجمر عنك بمودين

( الأسودان ) الحية والقرب ، وفي الحديث ( اقتلوا الأسودين )  
( الثقلان ) الانس والجن سميا بذلك لتقلهما على الأرض  
ولرزانه رأيهن وقدرهم ، أو لأنهم مثقلون بالتكليف ، وفي الحديث  
( إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ) سماهما ثقلين لأن  
الأخذ بهما والعمل بهما ثقل إعظاماً لقدرهما وتوضيحاً لشأنهما  
( الأسواريان ) عيسى ومحمد بن أحمد نسبة إلى أسوار  
— بالفتح — قرية بأصبهان ، عدهان

( الأماميان ) محمد بن عبد الجبار ومحمد بن إسماعيل البسطامي

عدهان

الثنيات في الطب والكيمياء والنباتات

( البهقان ) أبيض يياضه دقيق ظاهر البشرة لسوء مزاج  
المضبو إلى البرودة وغلبة البلبم على الدم ، وأسود يعترى الجلد إلى  
السواد لمخالطة المرة السوداء الدم

( الحلولان ) حلول سرياني وهو عبارة عن اتحاد الجفنين  
بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر كحلول ماء  
الورد في الورد فسمى الساري حالاً والسري عللاً ، وحلول  
جوارى وهو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر كحلول  
الماء في الكوز

( الزرينخان ) أراد به الأطباء الزرينخ الأحمر ، والزرينخ  
الأسفر

( البهتمان ) نباتان أحمر ظاهره السواد وأبيض كذلك ،  
وهما فارسان مريان وكلاهما يضران السفلى ويصلحهما الأنيسون  
والكثيرا أو العناب

الثنيات المختصة بالفلسفة واللاهوت والتصرف

( الأجلان ) هما علي وأبي الفلاسفة طيبي واختراى قائلهم  
قالوا : الرطوبة الفريزية من الحرارة الفريزية بمنزلة الدهن للفتيلة



صور من هومروس

## ٢ - حروب طروادة

پاریس یعون

للأستاذ دريني خشبة

« ألت تخن إلى وطنك ، وتضمني لو ترى والدك

پاریس ؟ ... »

« وطني ووالدي ؟ »

« ... ؟ ... »

« وهل لي وطن غير هذه المروج الخضراء ، والنان غير

أبي الراعي وأمي للتداعية الثانية ؟ »

« صكين ! ! »

« بل أسعد الناس بأن أكون ابنيها ، وله ؟ أليس أبي

سيد هذه القلوات ، وأمي أعز الأمهات ؟ »

« ذلك حق لو أن أباك هذا الراعي پاریس ! »

« ماذا تضمني ؟ »

« أعني أنك لست ابنة ؟ ... »

« وبي ! لو لم تكوني فينوس لقتلتك ! »

« الحق أقول أيها العزيز ! »

« أنت تدنينني ! ابن من إذن ؟ ... »

« أترى لي جمالك البارح ، وجسمك المشوق السمري ؟

أينكون هذا الخلق من نسل الرعاة الأجلاف ؟ »

« ..... ؟ ..... »

« أندور بك الأرض إذا علمت أنك ابن ملك ؟ ... »

« سخرية وهزؤ ... إلام تقدمين فؤادي ياربتي الحسن

والحب ؟ ألا تني أعطيتك التفاحة الخالدة ؟ ... »

« الآلهة لا تكذب پاریس ! »

« أنا ؟ ... أبي ... ملك ؟ ... هذا الراعي ؟ ملك ماذا ؟ »

« ليس هذا الراعي قلت لك ! ! أنت لست ابنة ! أنت

سليل الملوك ، الصيد ! ! ... »

« إذن من عسى أن يكون أبي ؟ ... »

« ملك طروادة ! ! ... »

« ملك طروادة أبي ؟ ... پرام ! ! ... »

« هو ... هو ... هو ... »

« هاهاها ... ومن جاء بي هنا ؟ سرقوني ؟ ... »

أليس كذلك ؟ ... »

« لا لانتس پاریس أنك في حضرة فينوس ... وأقولها

لك كرة أخرى : إن الآلهة لا تكذب ... أجل أنت ابن پرام

ملك طروادة ... قيل لك إنك تجر عليه ألوانا من المنادف فضدي ،

وأرسل بك من تركك فوق جبل بييد ، لنا كلك الدناب ...

كل هذا إذ أنت طفل صغير ... وليد ... ولقد عثر بك ذلك

الراعي الذي تحببه أباك ففرح بك وقال لاسرائة : عسى أن يكون

لنا منه ولد ... والآن ... لقد وعدتك زوجة جميلة ... أجل

امرأة في العالم ... فاذهب أولاً إلى طروادة ، واتق أباك فإنه

سيعرفك ... سيفرفك لأن له أبناء تخلقهم تخلقك ... وسيجده

قلبه ... وتكلمه روحه أنك ابنة ... سيفرح بك پرام پاریس !

وسيفحق قلب هكيويا ... أمك التي نبكي من أجلك ، وتشتاك

ينصف ملكها !

فاذا اطمانوا بك ، ولبثت فيهم أبابا ، فأبد لهم رغبتك في

الابحار إلى بلاد الأغريق في أسطول كبير ... إن ثمة للمرأة

إلى وعدتك ... أجل نساء العالم ... »

وعابت فينوس !

\*\*\*

وجلس فوق مضبة مرتفعة قليلاً فنظر إلى المدينة الخالصة  
 واجتمع حوله أصدقاؤه الأتقاء الأوفياء يسألونه فيم جاء إلى هذا  
 البلد ، ولم هجر قطانه وأوطانه ، وهل في أمره ... حب ...؟  
 وطعامهم باريس ، وزوق لهم الأسلام والأمانى ، ووعدهم  
 خيراً « لا ترى مثله عين ، ولا يخطر على قلب بشر »  
 ودخلوا المدينة ...

وعموا ميدانها الرحب الفسيح ، حيث اجتمع خلق كثير  
 يشهدون المهرجان الرياضى ، ويمتعون أنظارهم بشئ الألعاب التى  
 يمارسها أبطال طروادة وما جاورها من القرى . ولبت باريس  
 وأصحابه ينظرون إلى المتبارين ساعة ، ثم زهاهم الروح الرياضى  
 فقدموا أنفسهم إلى الرئيس المشرف على الألعاب ، فأشركهم فى  
 كثير من المباريات ...

ولقد برز باريس على أقرانه ، وبذل كل من تبارى معهم فى  
 مضمار ، حتى لفت إليه أعين النظارة وأصبح موضع إعجاب  
 الحاضرين ...

وكانت الأسرة الملكية ، الملك وزوجه وأبنائه وحاشيته ،  
 يمدقون فى الفنى مشدوهين مأخوذين ، وكانت الملكة خاصة  
 تحس كأن رباطاً روحانياً يجذبها إلى الناحية التى يجول باريس  
 فيها ويصول ؛ بل كانت تشمر كأن الحديد الثائب فى عضلات  
 البطل ، إنما يتدفق من عضلاتها هى ، وأعجب من ذلك جميعاً ،  
 ذلك الحنان التفجر فى قلبها ، وذلك الحب الحزين السادر الذى  
 ينفرها كلها من أجل هذا الغريب الغامض المجهول !

ولحت كاستندرا ، ابنة الملك ، ما كانت يتاب أمها من  
 عواطف ، وكانت فتاة بارعة الحسن ، مليحة القل ، فينانة  
 ريانة ؛ أعجب بها أبوللو ففتحها حبه ، وهام بها حتى لكان يبيدها  
 عبادةً ، وهو الآله المبود !

وكان ما يقتا يباركها ويخلع عليها من نعمه ؛ فمن ذلك أنه  
 وهبها القدرة على كشف النيب ، والتنبؤ بما كان وما يكون ؛  
 فكانت تخبر الناس بماضيهم وحاضرهم وما يكون من مستقبلهم  
 وهم يسمعون ويعجبون ...

ولسكها تاهت على أبوللو ودلت ، وكانت أبداً تمنحه الجفاء  
 والصدود ، وتعرض عنه وهو المقبل عليها بروحه وقلبه وشعره  
 وموسيقاه !

جلس باريس على صخرة تشرف على البحر المضطرب من  
 جهة ، وعلى السفح المشوشب المصطخب بالحياة من جهة  
 أخرى ، ثم أخذ يفكر فى كل كلمة انفرجت عنها شفتا فينوس ...  
 « ترى ؟ أصبح ماقلته فينوس ؟ أصبح أن يرأى أبى ؟  
 ألا أنادى أبى الراعى بعد اليوم ؟ وأنت أيتها الشاء والتسم :  
 أفرأى لاقاء بعد ؟ وأسفاه ! لم لقيت فينوس ؟ عزيز على أن  
 أهجر إلى الأبد أيتها البطاح ؛ وأنت أيتها السماء الحبيبة ؟ بم  
 أستبدل قللك الدرية فى الليل ، وشملك اللافنة ، وسحبك  
 الوشاة بالذهب فى النهار ؟ ... .. »

الآلهة لا تكذب ! ! هكذا كانت تقول فينوس ! أنا إذن  
 ابن ملك ! وأبى لا بد أن يكون غراً ضيق البطن ، وإلا فلم صدق  
 ما ذكرته له الكهنة عنى ؟ طفل صغير يُنبذ بالمراء لتأكله  
 السباع ! يا لقساوة القلوب ، وتحجر الأكباد ! وأبى ؟ أبى  
 كانت أبى ؟ وأبى كان قلب الأم فى هذه المرأة ؟ كيف سهل عليها  
 أن تدعى يُنطلق بي لأنبذ بالمراء ، فريسة لاحول لها لكلاى  
 الجليل ، وطعمة شقية لسباع البرية ؟ ... .. »  
 لا بد أن أذهب ! لا بد أن أعلم حقيقة أمرى ! وداعاً أيتها  
 البحر ! وداعاً أيتها المروج ! يا كل شئ هنا ... وداعاً !  
 وانطلق لا يلوى على شئ ...

وكان أصدقاؤه الرعاة يلقونه فى الطريق فيشكرون منه كل  
 شئ ! يشكرون منه اقتباضه وعهدهم به طلق المصحيا لا يفارق  
 المرح ثمره البسام ، ويشكرون منه سمته الطويل وهو الثرقار  
 الذى لا يقف لسانه ولا تمسك شفتاه ! ويشكرون منه هذه  
 النظرات العميقة الحزينة ، وهو ذو العينين الضاحكتين والجبين  
 المشرق الطروب ...

وكان هو ينكرهم جميعاً كذلك ! أليس قد عرف أنه ابن  
 ملك ؟ وابن أى ملوك العالم ؟ ابن ملك طروادة ! وهل أقوى  
 وأعظم فى ملوك العالم من ملك طروادة ؟

وبرغم هذا الانكار كان الرعاة ما يرحون يحبون باريس  
 ويمجبون به ، وقد أحزنهم أن ينطلق فريداً وحيداً فى فترات  
 تدمم فيها السباع وتهمهم الوحوش ، فذهبوا يقتصون أثره ،  
 وكانوا له حرصاً شديداً فى وحشة هذه البرية المخوفة ...  
 ووصل إلى طروادة ...

رجاها أبولو أن تكون له ، وأن ترتضيه لها بعلًا ، ووعدوا لقاء ذلك أن يبنى لها القصور الشامخ في قبة السماء ، وأن يحملها معه أبدًا في رحلته الملوية فتري كل ما تدب على الأرض ، وأغراها بالتوسط لدى كبير الآلهة زيوس الأعظم فيمنحها الخلود ويرجعا دفعها إلى صفوف الآلهة أنفسهم ... يبد أنها ما كانت لتزداد إلا شهامًا وعنادا

ولما ضاق أبولو بها ذرعًا ، صب جام غضبه عليها ، وسلط عليها سخرية سامعيا ، فما تقول شيئًا ، ولا تتنبأ بشيء ، ولا تكشف غيبًا ، إلا استهزأ بها الناس ، وعيروها بأنها تكذب وتهرف وتدعى ...

فلما شامت ما كان من فورة الاحساس التي تجرف قلب أنها من أجل باريس ، ذكرت لها أن هذا الشاب إن هو إلا أخوها الذي نبذوه بالعراء فوق الجبل لتأكله السباع ، وآيتها على ذلك هذا التشابه الشديد بينه وبين أخيها هكتور وبين أبيها الملك . وحاجبا قوتها فأحضروا باريس ليطلقوا بينه وبين هكتور ... ولكن ما كادت المطابقة تتم حتى أخذته هكيوبا في حضنها الحنون الرنجف ، سائحة مستعبرة : « ولدى باريس ... ابني باريس ... ولدى ... إلى ... إلى ... يا بني ... » . أما الملك فقد بى هو الآخر ، ونهض فماتق ابنه عناقًا طويلًا حارًا ، غاسلاً جبينه للتلال للشرق بدموع الاعتذار عن الماضي البعيد المحزن

ولما أخبرهم باريس أن فينوس ، ربة الحب والحنن ، هي التي هدته إلى مولده ومنشئه وكرمه أرومته ، خر الملك وأهلها لها ساجدين ... إلا كاستدرا

لقد عبثت بهوسة قاتمة ، وحسبت أخاها الثريب بنظرة كالحق ... ثم صاحت بالملك : « أبى ! لتحذر هذا الأخ ... لتحذر باريس ... ولتذكر نبوءة الكهنة في مبد أبولو ... ابنك يجر الخراب على مملكتك ، ويعرض شعبك للدمار ، وينشر الموت في بيوت رعياك ... »

وهنا ينتقم أبولو ، ويسخر من حبيته الجافية ! لقد تضاحك الملك مستهزئًا ، وغمرت الملكة ابنتها ولمزتها بكلام قارس ... أما هكتور ، فقد عبث بأخته ومازحها مزاحًا ثقيلًا ...

مكينة كاستدرا !

حتى الحاشية استهزأت بها وأشمرتها المذلة والهوان ... كل ذلك والرامة ... أسدقاء باريس ... ينظرون ويمسجون ... ولا يفهمون !!

الآلهة لا تكذب !!

أفرخ روع باريس إذن ! وسدق كل ما ذكرته فينوس ! ها هو ذا يعيش في قصر منيف باذخ ؛ ها هو ذا ، لأول مرة في حياته يخلع هذا الصوف الخشن الغليظ ، ليلبس من مستدس أبيض واستبرق ! والولدان البيض كالتماثيل يطوفون عليه بأكواب الخمر من فضة ، ويحجاف الآكال من ذهب ! وشعب بأسره يطيع أباه ويطيعه ، وجيوش تصدع بأسره ، وأساطيل لجاب تملأ البحر ، إذا شاء أقلمت وإذا شاء أدرست ؟ ؟ ؟ وملك وسلطان ، وتاج وصولجان ... !!

لا تنقصه الآن إلا أجل فتاة في العالم ...

تلك الفتاة التي وعده فينوس ! وما دامت الآلهة لا تكذب فأجل فتاة في العالم هي من غير ريب في بلاد الأغريق ... لأن فينوس أوصته بوجود الابحار إليها ... وهل أجل من حسان اسبرطة في بلاد الأغريق ؟ ! إنهم قوم يبدون الجمال واعتدال القوام إذن ، فليستحّر باريس إلى اسبرطة !!

( لها بنية )

ورين منبه

في هفزة استقبال سمو الأمير سمود

يقال إنه كان للمدية الثمينة التي انقرد بتقديمها أحد كبار الهندو بمصر . حضرة السيد بير شريف على المدني صاحب فريقة سجاير ملوك الهند وغفر العرب ، من بين المحتفلين بقدم سمو الأمير سمود بالوكالة العربية بالقاهرة وقد قالت عند سمو الأمير حسن القبول والاعجاب فتناولها شاكرًا وأثنى على صاحبها مما لفت نظر جميع المحتفلين بسموه وجملهم يتحدثون بشأنها ، ونفدة هذا النوع من الهدايا إذ لا وجود له إلا بين قصور اللوك والأمراء وخاصة في الهند مما روت الصحف في حينه يوم الحفل من الأسبوع الماضي



# البريد الأدبي

## كتاب جدير عن ستالين

قرأنا في مجلة «لوروب نوڤيل» وصفاً لمؤلف جديد عن «ستالين» بقلم مسيو بيير فريديس . والظاهر أن شخصية ستالين (أو الرجل الصلي) طاغية روسيا السوفيتية أنحت مستقر الاهتمام والدرس ؛ فلأسايع قلائل يسدر عن ستالين كتاب جديد بالفرنسية ؛ وقد سبق أن أشرنا في هذا المكان إلى صدور الكتاب الأول وهو بقلم مسيو هنري بارييس الكاتب الفرنسي الثوري ؛ وأما الكتاب الثاني فنموانه ستالين أيضاً وهو بقلم مسيو بوريس سوفارين الكاتب الشيوعي ؛ والكتاب الجديد بالفرنسية أيضاً مع أن مؤلفه مسيو سوفارين روسي الأصل نشأ في مهد الصحافة الروسية ، ولكنه نزح إلى فرنسا منذ الثورة البلشفية ، وغداً من أقطاب الشيوعيين في فرنسا ، وكتابه يقع في مجلد ضخيم يناهز المائة صفحة ، وهو كما يسميه في عنوانه «خلاصة لتاريخ البلشفية» بيد أنها خلاصة ضافية جداً . ويبدأ مسيو سوفارين بالكلام عن ستالين ونشأته الأسبوية في بلاد الكرج في أسرة ريفية فقيرة ؛ ثم يتناول تاريخ الحركات الثورية في روسيا منذ أواخر القرن الماضي باقضية ، وتاريخ الأحزاب الثورية ومبادئها ، وكيف تمخضت من قيام الحزب البلشي في أوائل هذا القرن ؛ ويتطرق من ذلك إلى الحديث عن مقدمات الثورة البلشفية التي انتهت بقيام الحكومة السوفيتية وقبض البلاشفة على اقدار روسيا إلى اليوم ، ويستعرض خلال ذلك كل ما سبته البلاشفة من القوانين أو النظم الجديدة الاقتصادية والاجتماعية ؛ وبمضى عناية خاصة باستيعاب كل ما يتعلق بذلك الشخصية الخامسة — ستالين — وكل ما يمكن أن ياقى الضياء على خواصها الثرية . ويبدو ستالين خلال هذا الدرس شخصية مدعشة ، فينبأ براه في ثوب متواضع جداً رجلاً لا يتمتع بثقافة معتمة ، إذ أنه رجل ذو إرادة حديدية مخيفة ، وإذ أنه طاغية

خطر ، يتذرع بأقصى الوسائل لتحقيق سياسته وأهوائه ، ثم إذا به لا يزال مطبوعاً بالترعة والصفات الأسبوية القديعة في الشف باللس والعمل من وراء ستار . ثم لا ريب مع ذلك أن ستالين من أعظم شخصيات التاريخ الحديث ، وهو بذلك جدير بأن يدرس دراسة عميقة واسعة كذلك التي يقدمها إلينا مسيو سوفارين بعد أعوام طويلة من البحث والدرس في جميع المصادر والمحفوظات الروسية والأجنبية

## وفاته الشاعر الإنكليزي كير

توفي أخيراً الشاعر الإنكليزي السير وليم وطسون في نحو السابعة والسبعين من عمره ، وكان يماي آلام الأرض منذ أعوام ؛ وولد السير وطسون في سنة ١٨٥٨ في بلدة من أعمال يوركشير ، وتلقى تربيته الأولى في ليفربول حيث كان أبوه يشتغل بالتجارة ، ثم درس الحقوق في جامعة أبردين ؛ وفي سنة ١٨٨٠ نشر أول قصائده في كتاب سماه «أمنية الأمير» وظهر فيه تأثره بنفوذ الشاعرين كيقيس وقيسون ؛ وبعد بضعة أعوام أخرج كتابه «صور من الفن والحياة والطبيعة» ، ولكنه لقت الأنظار لأول مرة حينما نشر في سنة ١٨٩٠ قصيدته الشهيرة «قبر ورد سورث» التي ألهمت يومئذ إعجاب النقاد ، واعتبرت دليلاً قاطعاً على مقدرة الشعر ؛ وأعقب السير وطسون ذلك بصفة قصائد وأنشيد شعرية ؛ وظهر من ذلك الحين عواهبه الأدبية ، واشترك في تحرير كثير من الصحف الأدبية الشهيرة . ولما توفي الشاعر تيسون رثاه بقصيدة رائعة ضم إليها قصيدة أخرى في الذكرى للشاعر شيللي (سنة ١٨٩٣) . وفي ذلك العام منحت الحكومة «مناس الأدب» التي كان غصصاً لتيسون وقدره مائتا جنيه . ولما وقمت المناهج الأرمشية في تركيا في أواخر القرن الماضي ، نشر السير وطسون عدة قصائد وأنشيد عنها في جريدة «الويمانستر جازيت» ثم جمعت بعد ذلك في

الجليل (الرحى المحمدى) وهو من غير شك معجزة نبوغه وكتاب خلوده . رحمه الله رحمة واسعة وعوض فيه الاسلام والمسلمين خيراً

### ذكرى أتررسن معبود الطفولة

احتفل أخيراً في كوبنهاجن عاصمة دانمارك باحياء ذكرى الكاتب القصصى الكبير هانز كرستيان آندرسن ، وذلك لمناسبة مرور ستين عاماً على وفاته . وبحق لدانمارك أن تفتخر بما غفر بأن ينتسب إليها ذلك الذى يعتبر بحق معبود الطفولة في جميع أنحاء العالم . ذلك أن آندرسن هو أمير القصص الساذج الذى مازال سحر الطفولة المرحّة منذ ثلثي قرن . وقد ولد آندرسن سنة ١٨٠٥ في مدينة أودنسى من أعمال جزيرة فين ؛ وكان أبوه صانع أحذية شديد الفاقة فلم يتمكن من تربيته ، ولكن جماعة من أصدقائه لاحظوا مواهب الطفل الخارقة ولا سيما في الموسيقى ؛ ولما بلغ هانز أشده أبدى مقدرة في قرض الشعر ، وحاول أن يتنظم في سلك المسرح في كوبنهاجن ؛ ولكن تربيته الساذجة حالت دون هذه الأمنية ؛ وبلغ الملك خبر هذا الفتى المجيب ومواهبه الخارقة ، فأمر بأن يلقن بعض ضروب الثقافة ؛ وكان لذلك الدامل الجديد أحسن الأثر في إبراز مواهبه الشعرية والفنية . وكان بدء شهرته ومجده قصيدته الخالدة « الطفل المختصر » . ثم تلاها بقطعة أدبية ساخرة اسمها « زهرة إلى آماك » وقد صدم آندرسن في بدء حياته الأدبية بمهاجمة النقد ؛ ولكنه لم يعبأ بهم ؛ وأمر الملك بأن يسافر آندرسن في بعض الرحلات على نفقته . وكان أعظم ما أخرج آندرسن به رحلاته ، قصصه الخالدة التى تعرف « بقصص الجن » . ومنها « كتاب الصور الذى لا صور فيه » « سوق شاعر » « قصص من جنتلند » « البجعة المتوحشة » « الغراء الثلجية » « الجندي الشجاع » وغيرها ؛ وهى جميعاً من القصص البرى الساذج الذى وضع للطفولة ، ومن أبدع ما أخرج القلم في هذا الباب من القصص ؛ ويمتاز آندرسن بخياله المبدع وأسلوبه الساحر ، وخفة روحه التى تغلب لب قرائه الأطفال في جميع أنحاء العالم ، وقد ترجمت قصصه إلى جميع اللغات الحية ، بحيث أصبح بحق كاتباً عالمياً عظيماً

### قصص بيرزطية

من أبناء استانبول الأخيرة أن الباحث الأثرية التى يجربها العلامة الأثرى الايكومى الأستاذ باكتون للبحث عن مواقع بيرزطية القديمة قد أسفرت عن العثور على بعض آثار محمد موقع

ديوان سعى « عام المار » . وفى سنة ١٩٠٩ نشر ديواناً سماه « القصائد الجديدة » فلقى نجاحاً عظيماً ، ثم نشر « الشعر فى اللقى » ، وأنتم عليه بلقب « السير » سنة ١٩١٧ ؛ واستمر السير وطسبون بعد ذلك يخرج مجموعات شعرية متعاقبة ويحمل شعر السير وطسبون طابع للدراسة الروائية ويملها إلى البلاغة ، بيد أنه يمتاز بالوضوح الجلى والاحتشام الرفيع ولما مرض السير وطسبون منذ أعوام ولم تنف موارد مجارته للعلاج ، أبدى مواطنوه له تقديرهم وإعجابهم بفتح اعتماد مالى شمسى يمكنه من إتمام علاجه وارتداد المصححات اللازمة ؛ وقد نجح الأكتاب نجاحاً عظيماً

### وفاة السيد محمد رشيد رضا

استأثر الله في يوم الخميس الماضى بالعالم الكاتب والفقير الحجة السيد محمد رشيد رضا صاحب (النار) ؛ أذكر كموت الفجاءة وهو فى السيارة عائداً من توديع الأمير سعود فى السويس . وليس فى العالم الاسلامى مثقف يجهل تلميذ الأستاذ محمد عبده ، وحامل لواء الإصلاح الدينى من بعده ؛ فان أربعين سنة قضاهما الفقيه الكريم فى تحرير النار يفسر كتاب الله على طريقة الامام ، ويبسط أحاديث الرسول على نهج السلف ، ويحرد الفتاوى فى المسائل الدينية المختلفة ، ويقطع السنة المبشرين والملاحدين بالأدلة النواهي ، ويجلو عن الشريعة ظلام الشبه بالعقل النير ، ويزيد فى ثروة الأدب الاسلامى بالصفات القيمة ، حرية أن تحله من قلوب المؤمنين موضع الترجلة ، وتبوءه من صفحات التاريخ مكان الأئمة

ولد الفقيه فى قرية ( القلون ) إحدى قرى لبنان القريبة من طرابلس ، فلقى العلم طفلاً وإماماً فى هذه المدينة ، ثم هاجر إلى مصر ، فدخل الأزهر واتصل بالامام محمد عبده اتصالاً وثيقاً ، فأشاد عليه أن يصدر (النار) فكانت سجلاً لأراء الأستاذ الاجتهادية فى حياته ، واستمراراً لدعوته الإصلاحية بعد مماته . ثم ساهم فى النهضة العربية واتصل بجميعاتها السرية فى أطوارها المختلفة من سنة ١٩٠٨ إلى قيام الحرب الكبرى . فلما أعانت الهدنة عاد إلى سورية فانتخب رئيساً للمؤتمر السورى الذى نادى بالأمير فيصل ملكاً ؛ ثم ظل فى خدمة هذه الدولة العربية الجديدة حتى ثل عرشها الفرنسيون سنة ١٩٢٠ ، فارتد إلى القاهرة بحرد النار وبمالج التأليف ، فأصدر طائفة من الكتب القيمة أشهرها تكملة تفسير الامام على هديه ووجهه ، ثم الجزء الأول من تاريخ الامام وكان قد أصدر منه جزءه الثانى فيما قاله ، والثالث فيما قيل فيه ، ثم كتابه

الحديث لأنه يهودى المنشأ والمبغى ؛ وقد تنفن أقطاب الأطباء والباحثين اليهود فى اختراع نظريات الميكروبيات وغيرها وأقدموا بذلك نظام الطب الطبيعى الذى يجب أن يكون شعار الجرمانية إلى غير ذلك من الأقوال الفارقة التى تدل على غلو لا فى التعصب فقط ولكن فى تشويه العلم والحقيقة أيضاً . وثمة صيحة غربية أخرى يلقيها غلاة المهترئين ، فهم يحذرون الألمان من أكل البقول والمنتجات الأجنبية ، لأنه لا يصح أن يتكون الدم الألمانى التى إلا بالأغذية والبقول التى تنتجها الأرض الألمانية . وضربت جريدة « الفرائكيشه تسيتونج » مثلاً لذلك بالييمون الذى ارتفعت أسعاره أخيراً فى ألمانيا ، فقالت يجب على الألمان أن يصرفوا النظر عن الييمون الأجنبى لأنه يفسد دماءهم ، وأن يستعصوا عنه ينقل ألمانى آخر يسمى « الزها بارب » وهو بقل حامض يزرع بكثرة فى ألمانيا ويمكن استخراج حامضه واستعماله مكان الييمون ؛ وهكذا يخلط القوم خلطاً غريباً فى نظريات الدم والسلالة والقومية وغيرها من حمايات التعصب المرفق التى تخرج ألمانيا المهترئة

#### الرقص العارى ليس فناً

هل يعتبر الرقص العارى منافياً للحياة ؟ لقد انتشر الرقص العارى أخيراً فى فرنسا وأصبحت عدة من ملاهيها الشهيرة تخصص للرقص العارى فى برنامجها أهم مكان . والمقصود بالرقص العارى هو العراء المطلق ، ويقوم به راقصات حسان يرقصن أمام الجمهور عاريات تماماً ، ولم يكن البوليس يتدخل فى أمر هذا الرقص لاعتباره داخلًا فى باب الفن ، ولكن القضاء تدخل أخيراً بناء على شكوى قدمت إليه من أحد النظارة ، فقد اصطحب رجل زوجته وابنته إلى أحد الملاهي الشهيرة ، وبعد حين غادرت ابنته للمكان لسبب ما ، ولم يرض على خروجها برهة حتى ظهرت الراقصة الشهيرة جوان وارنغارية تماماً وأدت رقصتها ، وهتف لها الجمهور طويلاً . ولكن السيد المشار إليه ذهب توجاً إلى إدارة البوليس وقدم شكواه ضد هذا المنظر المنافى للحياة والمذى بنطوى على فسق بين . ورفع الأمر إلى القضاء ، فقدمت الراقصة وصاحب الملاهي متهمين بارتكاب عمل يتنافى مع الحياة ، وأخذت المحكمة بهذا رأى ، وقضت على الراقصة بفرامة قدرها خمسون فرنكاً ، وعلى صاحب الملاهي بمائة فرنك ، وذلك رغم ما دافعت به المثلة من أن رقصها العارى إنما هو رقص محتشم يدخل فى باب الفن ، ورغم ما دافع به صاحب الملاهي من أن برنامج الليلة كان مذكوراً فيه هذا المنظر ، وقد كان على المشتكى أن يتمتع من الدخول

القصر الامبراطورى القديم أو قصر قياصرة الدولة الشرقية . وقد توفر على درس هذه المسألة عدد كبير من العلماء ؛ ودرسوها على ضوء الخطط القديمة لماصمة القياصرة ؛ ولكن مباحثهم كانت نظرية فى الغالب ؛ وأشهر من قام بهذه الدراسات الألمان الأترين عمبورى وفيناند فى رسالتين شهيرتين أثبتت بهما بعض الخرائط والخطط النظرية القديمة لماصمة القياصرة . وقد استعان الأستاذ باكثر بهذه الدراسات التاريخية على إجراء مباحثه ؛ وبدأ بالحفر على مقربة من جامع السلطان أحمد الذى تجتمع فيه عدة من أشهر الآثار البيزنطية مثل كنيسة أياصوفيا الشهيرة ، وهى على مقربة منه ، ومسرح الهيدروم ( مسرح الخليل ) ؛ وحفر الأستاذ حفريات فى النجدد المتجه نحو البحر ، فحفر على عمق مترين ونصف متر على عمشى من الرخام وعلى بعض الأساسات القديمة ، ووجد بينها آثار أحجار ونسيفساء تدل على أنها من صنع الترك فى القرن السادس عشر ؛ ولما نظفت هذه الأسس وحفر حول المشى الرخام ظهرت فسيفساء أخرى ، عرف فى الحال أنها من بقايا القصر الامبراطورى ، فتوسع الأستاذ باكثر فى الحفر فى تلك المنطقة ، فحفر على قطع أخرى من النسييفساء البيزنطية القديمة ، ولم يعرف بعد أى جزء من القصر الامبراطورى هذا الذى اكتشف ؛ على أن هذا للمر الرخام يمتد نحو عشرين متراً ، وعرضه نحو عشرة أمتار ، وتطلله أعمدة ترتفع نحو خمسة أمتار ونصف متر . والظنون أن هذا المر إنما هو أحد أدوة « الهيدروم » ؛ وقد كانت هذه الأورقة فى الصور القديمة داخل القصر فى الجناح المخصص لشخص الامبراطور ؛ وربما كان هذا المر الرخام وهذه الفسيفساء من بقايا كنيسة « نانيا » وهى الكنيسة الامبراطورية الخاصة ، وربما كان من بقايا الجناح الصينى الذى بنى الامبراطور تيوفيلوس . ومهما كانت الآراء الخاصة بهذه الآثار ، فإن رأى مجمع على أنها على أعظم جانب من الأهمية فى الكشف عن مواقع القصر الامبراطورى القديم

#### نظريات الجنس والدم فى ألمانيا

تتخذ نظريات الجنس والدم والسلالة فى ألمانيا كل يوم صوراً مذهشة من الغلو والأغراق ؛ وما زالت التفرقة بين الجنس الآرى والجنس السامى ( وبخاصة اليهود ) عماد الفكرة الجنسية ؛ ولكن تحدث أخيراً بعض غلاة الوطنيين الاشتراكيين ( المهترئين ) فقال إن الطب الحديث هو من عوامل فساد الدم ، ويجب أن يحذر الجنس الآرى والجنس الجرمانى بنوع خاص مجارب الطب



## كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

للمقرئ

نصرت لجنة التأليف والترجمة والنشر

للاستاذ محمد بك كرد علي

المقرئ مؤرخ القرن التاسع غير مدافع (١٨٤٥)، استفاضت شهرته بتأليفه في حياته وبعد مماته، وقد طبع له حتى الآن «كتاب التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم» و«اللام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام» و«البيان والاعراب عما في أرض مصر من الاعراب» و«الأوزان والمكاييل الشرعية» و«الطرفة الفرية في أخبار حضرموت المجبية». وأهم كتبه التي حفظ به تاريخ عمران مصر كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» الذي يدعى تسميلاً «الخطط» طبع غير مرة وعنى به علماء الشرقيات عناية خاصة ومنهم من اقتطع منه فصولاً نقلها إلى إحدى اللغات الأفرنجية، ومنهم من درسه في الجامعات وعلق عليه

ومن كتب المقرئ التي بقيت محفوظة في بعض دور الكتب العامة، واكتفى علماء الشرقيات بنقل ما يتعلق بفرسهم منها «كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك» وقد وفق الأستاذ محمد مصطفى زبدة المدرس بقسم التاريخ في كلية الآداب بالجامعة المصرية بإخراج هذا السفر الجليل على طريقة علماء الشرقيات في إحياء تراثنا الأدبي، معارضاً له على عدة نسخ مخطوطة وأهمها نسخة بخط المؤلف. وتجد في كل صفحة أثر العناية البالغة في هذا الجزء الأول - القسم الأول ٢٦١ صفحة من القطع الأخير «كتب المقرئ» - كما جاء في تصدير الناشر - كتابه على نظام الحواريات الشائع في مؤلفات المؤرخين الشرقيين في القرون الوسطى فسرد تاريخ كل سنة على حدة، ولم يحاول أن

يصل بين سنة وأخرى أبداً، ولم يستوقف القارئ في وسط السنين إلا عند حدوث عهد جديد» وقال المقرئ إنه لما أكل كتاب «عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة القسفاط» و«كتاب انماط الخلفاء بأخبار الخلفاء» وهما يشتملان على ذكر من ملك مصر من الأمراء والخلفاء منذ فتحت وإلى أن زالت الدولة الفاطمية. أحب أن يصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبيين والسلطين المالكين التركية والجركية غير معتن فيه بالتراجم والوفيات لأنه أفرد لها تأليفاً آخر

وفي هذا الكتاب كما في أكثر ما خطته يد المقرئ يسقط الباحث على شذرات في التاريخ وآراء سديدة في نقد الحوادث ما عرف عنه مثله في سائر كتبه النقحة، فقد قال في دولة بني العباس وهو ما سبق له التصريح بمثله في كتابه النزاع والتخاصم: «وفيها افرقت كلمة الاسلام وسقط اسم العرب من الديوان، وأدخل الأتراك في الديوان، واستولت الديلم ثم الأتراك، وصار لهم دول عظيمة جداً، وانقسمت ممالك الأرض عدة أقسام، وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالسيف ويعلمكم بالفر» وقال في المنصور إنه أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد علي بن أبي طالب وكان قبل ذلك أمرهم واحداً، وهو أول خليفة قرب النجمين وعمل بأحكام النجوم، وأول خليفة ترجت له الكتب من اللغات، وأول خليفة استعمل مواله وعلمانه في أعماله وقدمهم على العرب، فاقندى به من بعده من الخلفاء، حتى سقطت قيادات العرب وزالت رياستها وذهبت مراتبها، وكان قد نظر في العلم فكثرت في أيامه روايات الناس واتسعت علومهم ومما دونه من حوادث سنة ٥٩٤ أن معز الدين اسماعيل ابن سيف الاسلام طفتكين ملك اليمن ادعى الألوية نصف نهار وكتب كتاباً وأرخه من مقر الألوية ثم رجع عن ذلك، وادعى الخلافة، وزعم أنه من بني أمية ودعا لنفسه في سائر مملكته بالخلافة، وقطع النعام من الخطبة لبني العباس وليس ثياباً خضراً وعمائم خضراً مذهبة، وأكره من كان في مملكته من أهل

الذمة على الاسلام ... وفي حوادث سنة ٦٠٧ أن الملك الأوحده ابن العادل ظفر بملك الكرج فقضى هذا نفسه منه بمائة ألف دينار وخمسة آلاف أسير من المسلمين ، وأنه يلتزم الصلح ثلاثين سنة وأن يزوج ابنته بشرط ألا تفارق دينها . وفي حوادث ٦٠٩ أنه كان في جهاز ضيفة خاتون ابنة العادل مائة مكنية يلعبن بأنواع اللهى ، ومائة جارية يعملن أنواع الصنائع البديعة . وفي حوادث ٦٢٦ أنه وقت الحوطة على دار القاضي الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل ، وحملت خزائن الكتب جميعها إلى قلعة الجبل بمصر ، وجملة الكتب ثمانية وستون ألف مجلد ، وحمل من داره خشب خزائن الكتب مفصلة وجمها تسعة وأربعمائة مجلد ، وإن عدة الكتب ١١٨٠٨ كنب ، ومن جملة الكتب المأخوذة كتاب الأيك والنصون لأبي الغلاء المرى في ستين مجلدًا

وقال في الموقف المبامى إنه أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به . وروى قول ابن مقلة : « اننى أزلت دولة بنى العباس وأسلمتها إلى الديلم لأنى كانت الديلم وقت انقضى إلى أصبهان وأطمعهم في سرير الملك ينفذون ما اجتنبت عمرة ذلك في حياتى ولا فنى بجنتى بسد موى . » وذكر أنه قتل الجبابة في عهد العزيز من الأيوبيين بمصر فاتفقوا في دار السلطان على ما يصرف إلى عياله وما يقتات به أولاده ، وأفضى الأمر إلى أن يؤخذ من الأسواق ما لا يوزن له ثمن وما ينصب من أربابه ، وأفضى هذا إلى غلاء أسعار المأكولات ، فإن المتعيشين من أرباب الدكاكين يزيدون في الأسعار العامة بقدر ما يؤخذ منهم للسلطان ، فاقضى ذلك النظر في المكاسب الخبيثة وضمن باب الزر بئس عشر ألف دينار ، وفسح في اظهاره وبيعه في القاعات والحوانيت ، ولم يقدر أحد على انكار ذلك ، وصار ما يؤخذ من هذا السحت يتفق في طامام السلطان وما يحتاج إليه ، وصار مال الثغور والجوالى إلى من لا يبالي من أين أخذ المال . . . العزيز هو الذى منع من استخدام أهل الذمة في شئ من الخدم السلطانية ، وألزموا لبس القيار في عهده ، وأعاد الكوس التى كان أبطلها أبوه صلاح الدين وزاد في شرافتها ، وتجاهر بالمعاصى والمنكرات ، وألجأ أرباب الأمر والنهى الحر والحشيش ، وأقيمت عليها الضرائب الثقيلة ، واضطربت أحوال الديار المصرية من قلة العدل وكثرة المعاصى والفسوق ، وكثر اجتماع النساء والرجال على الخليج لما فتح ، وعلى ساحل مصر ، وتلوث النيل بمخاض قبيحة » وعمدت

الأرزاق من جانب الديوان ، وتمذرت وجوه المال حتى عم المرتزة الحرمان ، واستبيح ما كان محظوراً من فتح أبواب التاويلات ، وأخذ ما بأيدي الناس بالمصادرات » ومع هذا قال القرزى في هذا الملك لما مات : إنه كان ملكاً كريماً عادلاً رحيماً ، حسن الأخلاق ، شجاعاً ، سريع الانقياد ، مفرط السخاء ، سمع الحديث من السلفى وابن عوف وابن برى ، وحدث ، وكانت الرعية تحبه محبة كثيرة ، وكانت يطفى الشرة آلاف دينار ، ويعمل ساطعاً عظيماً يجمع الناس لأكله ، فإذا جلسوا للأكل كره منهم أكله ، ولا يطيب له ذلك ، وهذا من غرائب الأخلاق اه ووصف في حوادث سنة سبع وتسعين وخمسة مائة الغلاء الذى حدث في مصر حتى أكل الناس الميتات وأكل بعضهم بعضاً وتبع ذلك فناء عظيم ، وتعدى الحال ثلاث سنين متوالية لا يمد النبل فيها إلا مداً يسيراً ، وشنع الموت في الأغنياء والفقراء فبلغ من كفة العادل من الأموات في مدة يسيرة نحواً من مائتى ألف إنسان وعشرين ألف إنسان ، وأكلت الكلاب بأسرها ، وأكل من الأطفال خلق كثير ، وصار الناس يحتال بعضهم على بعض ويؤخذ من قدر عليه فيؤكل ، وإذا غلب القوى ضعيفاً ذبحه وأكله ، وقد كثير من الأطباء لكثرة من كان يستدعيهم إلى المرضى فإذا صار الطبيب إلى دار المريض ذبح وأكل . وهذا الوفاء والغلاء يشبهان ما وقع من مثلهما في أواخر عهد الفاطميين في مصر والشام

ويطول بنا المقال إذا أردنا الاستكثار من الاقياس من كتاب اللوك ، وقد استفدنا منه أنهم كانوا يطلقون على التيللات من ربات الجبال « الستر العالى صاحبة قاطمة » ، « الستر العالى صاحبة غازية خاتون » ، « الستر الرفيع فلانة » كما تقول اليوم « صاحبة المعصمة » ، وكنت قرأت على خائط فناء مدرسة الفردوس بحلب : « هنا ما أمرت بإنشائه ذات الستر الرفيع

والجناب النبع الملكة الرحيمة عصمة الدنيا والدين ، ضيفة خاتون ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب ... محمد كرد على

<b>التزيم المغنطيسى ١٠</b>	
... صحيفة بالسر - كتاب علمى عملى	
قراءة الأفكار وعلم نفسية	٥
ملكيات العقل الباطن	٥
موجز التزيم بالصور	١
للأستاذ ولیم سرچیسر المحامى بمصر شائع للمرة البرلاقية رقم ١٥٦ - إسبانية	